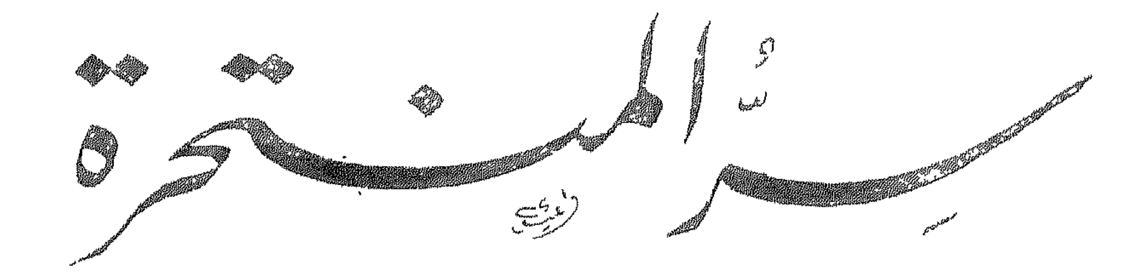


توفيق الحكيم

مكتبة مصر

سرُّ المنتحرة

توفيق الحكيم

سر المنتحرة

أربعة فصول

١٩٢٩

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

١ — محمد ﷺ (سيرة حوارية) ١٩٣٦
٢ — عودة الروح (رواية) ١٩٣٣
٣ — أهل الكهف (مسرحية) ١٩٣٣
٤ — شهر زاد (مسرحية) ١٩٣٤
٥ — يوميات نائب في الأرياف (رواية) ١٩٣٧
٦ — عصفور من الشرق (رواية) ١٩٣٨
٧ — تحت شمس الفكر (مقالات) ١٩٣٨
٨ — أشعب (رواية) ١٩٣٨
٩ — عهد الشيطان (قصص فلسفية) ١٩٣٨
١٠ — حمارى قال لى (مقالات) ١٩٣٨
١١ — براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية) ١٩٣٩
١٢ — راقصة المعبد (روايات قصيرة) ١٩٣٩
١٣ — نشيد الأنشاد (كما في التوراة) ١٩٤٠
١٤ — حمار الحكيم (رواية) ١٩٤٠
١٥ — سلطان الظلام (قصص سياسية) ١٩٤١
١٦ — من البرج العاجى (مقالات قصيرة) ١٩٤١
١٧ — تحت المصباح الأخضر (مقالات) ١٩٤٢
١٨ — بجماليون (مسرحية) ١٩٤٢
١٩ — سليمان الحكيم (مسرحية) ١٩٤٣
٢٠ — زهرة العمر (سيرة ذاتية ـ رسائل) ١٩٤٣
٢١ — الرباط المقدس (رواية) ١٩٤٤
٢٢ — شجرة الحكم (صور سياسية) ١٩٤٥
٢٣ — الملك أوديب (مسرحية) ١٩٤٩
٢٤ — مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠
٢٥ — فن الأدب (مقالات) ١٩٥٢
٢٦ — عدالة وفن (قصص) ١٩٥٣
٢٧ — أرنى الله (قصص فلسفية) ١٩٥٣
٢٨ — عصا الحكيم (خطرات حوارية) ١٩٥٤
٢٩ — تأملات في السياسة (فكر) ١٩٥٤
٣٠ — الأيدى الناعمة (مسرحية) ١٩٥٩
٣١ — التعادلية (فكر) ١٩٥٥
٣٢ — إيزيس (مسرحية) ١٩٥٥
٣٣ — الصفقة (مسرحية) ١٩٥٦
٣٤ — المسرح المنوع (٢١) مسرحية) ١٩٥٦
٣٥ — لعبة الموت (مسرحية) ١٩٥٧
٣٦ — أشواك السلام (مسرحية) ١٩٥٧
٣٧ — رحلة إلى الغد (مسرحية تنبؤية) ١٩٥٧
٣٨ — السلطان الحائر (مسرحية) ١٩٦٠
٣٩ — يا طالع الشجرة (مسرحية) ١٩٦٢
٤٠ — الطعام لكل فم (مسرحية) ١٩٦٣
٤١ — رحلة الربيع والخريف (شعر) ١٩٦٤
٤٢ — سجن العمر (سيرة ذاتية) ١٩٦٤
٤٣ — شمس النهار (مسرحية) ١٩٦٥
٤٤ — مصير صرصار (مسرحية) ١٩٦٦
٤٥ — الورطة (مسرحية) ١٩٦٦
٤٦ — ليلة الزفاف (قصص قصيرة) ١٩٦٦
٤٧ — قالبنا المسرحي (دراسة) ١٩٦٧
٤٨ — بنك القلق (رواية مسرحية) ١٩٦٧
٤٩ — مجلس العدل (مسرحيات قصيرة) ١٩٧٢
٥٠ — رحلة بين عصرين (ذكريات) ١٩٧٢
٥١ — حديث مع الكوكب (حوار فلسفى) ١٩٧٤
٥٢ — الدنيا رواية هزلية (مسرحية) ١٩٧٤
٥٣ — عودة الوعى (ذكريات سياسية) ١٩٧٤
٥٤ — في طريق عودة الوعى (ذكريات سياسية) ١٩٧٥
٥٥ — الحمير (مسرحية) ١٩٧٥
٥٦ — ثورة الشباب (مقالات) ١٩٧٥
٥٧ — بين الفكر والفن (مقالات) ١٩٧٦
٥٨ — أدب الحياة (مقالات) ١٩٧٦
٥٩ — مختار تفسير القرطبى (مختار التفسير) ١٩٧٧
٦٠ — تحديات سنة ٢٠٠٠ (مقالات) ١٩٨٠
٦١ — ملامح داخلية حوار مع المؤلف ١٩٨٢
٦٢ — التعادلية مع الإسلام والتعادلية (فكر فلسفى) ١٩٨٣
٦٣ — الأحاديث الأربعة (فكر دينى) ١٩٨٣
٦٤ — مصر بين عهدين (ذكريات) ١٩٨٣
٦٥ — شجرة الحكم السياسى (١٩١٩ـ ١٩٧٩) ١٩٨٥

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى الإنجليزية فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كروان) بنيويورك فى عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتيننتزا بريس) واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية فى لينينجراد عام ١٩٢٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية فى واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب فى الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ ــ ترجمة أبا إيبان ــ ترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦ .

عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ .

عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان (مذكرات قضائى شاعر) عام ١٩٦١ .

بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزيــة فى أمريكــا بدار نشر (ثرى كنتنتــــزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (كنتنتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠

بيت النمل : ترجــم ونشر بالفرنسيــة فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢ .

الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسيــة فى باريس عام ١٩٥٠ .

السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإنجليزيــة فى أمريكـــا بدار نشر (ثرى كنتنتــــز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتنتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتنتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الأيدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كتننتز) واشنطن ١٩٨١ .

الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الشيطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .

العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .

دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينمان عام ١٩٧٣ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .

لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كتننتز بريس) بواشنطن عام ١٩٨١ .

الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .

السلطان الحائر : ترجم ونشر بالإنجليزية لندن هاينمان عام ١٩٧٣

وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ فى دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شىء فى مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان ـــ لندن .

الشهيـــد : ترجمة داود بشاى (بالإنجليزيـــة) جمع محمـــــود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة ـــ ١٩٦٨ .

محمد ﷺ ترجمة د . إبراهيم الموجى ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .

المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج ببرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلى ونـلـر ونشر دار ماكملان ـــ لندن .

الفهــرس

الصفحة

الفصل الأول

(حجرة طبيب فخمة تنم عن نعمة ويسار ...
الدكتور محمود عزمي جالس إلى مكتبه يكتب ،
وهو قد جاوز الخمسين ، غير أنه محتفظ بنشاطه
واعتدال قامته ... يدخل الممرض سالم ...)

محمود : سالم ... اقفل باب العيادة ولا تفتح لمخلوق حي ...

سالم : وإذا حضرت الآنسة التي ..

محمود : إذا حضرت الآنسة التي ... فلا تفتح ! ... فهمت ؟ ...

سالم : والمرضى ؟ ..

محمود : المرضى والأصحاء سواء ... مفهوم ؟ ...

سالم : مفهوم ... (**بصوت خافت**) أبداً غير مفهوم ... ،

(يخرج سالم ويستأنف الطبيب الكتابة ... يدوى
جرس التليفون على المكتب ...)

محمود : (**فى التليفون**) ألو ، أنا الدكتور محمود عزمى ، نعم يا عزيزى ... المحاضرة فى تمام السادسة ، إذا سكت عنى الباب والتليفون ، أنا أكتب الآن الجزء الأخير منها ... ماذا ؟ ..

آه طبعاً ... واثق كل الثقة ... أنا أبالغ فى تقدير أثر السن على النفس والجسم ؟ ... لا بأس ... انتظر ... عما قليل ربما أقنعناك ... إلى الملتقى ... (**يضع السماعة ... يدوى جرس الباب ...**) الآن دور الباب ..

سالم : (يدخل) سيدى الدكتور ...

محمود : نعم ؟ ... عارف ...

سالم : الحلاق ...

محمود : فتحت له ؟ ...

سالم : طبعاً .. اليوم ميعاده ..

محمود : ألم أقل لك لا تفتح لمخلوق حى ؟ ...

سالم : الحلاق يا سيدى ليس ...

محمود : ليس بمخلوق حى ؟! ...

سالم : أقصد ليس من الزائرين ولا المرضى ..

محمود : أو لا تعرف أن الحلاق ألعن من الزائرين والمرضى ؟ ... من يستطيع اليوم أن يضيع علىّ ساعة المحاضرة غير حلاق ؟ ... اطرده فى الحال ...

سالم : سيدى الدكتور لم يحلق ذقنه من ثلاثة أيام ...

محمود : (وهو يكتب) فى مقدورى أن أعيش أيضاً يوما آخر بدون أن أحلق ذقنى ...

سالم : أربعة أيام بدون حلاقة ؟! ...

محمود : أتستطيع أن تخبرنى ما الذى يجرى فى الفلك إذا كانت ذقنى لا تحلق أربعة أيام ...

سالم : رأسك أيضا يا سيدى الدكتور قد طال شعره واستحق المقص ...

محمود : بل لسانك هو الذى استحق المقص ...

سالم : سيدتى أوصتنى مرة أن أذكر سيدى بمثل هذه الأشياء ...

محمود : لقد ذكرتنى وبلّغتنى وقمت بالواجب وزيادة ... استرحت الآن واطمأن قلبك ؟ ...

سالم : ولكن يا سيدى الدكتور ...

محمود : ألا تريد أن تتركنى أكتب ؟ ..

سالم : أوَينصرف الحلاق هكذا بخفى حنين ؟ ...

محمود : ينصرف برأسك وذقنك ، إذا شئت فليحلق لك أنت ...

(يخرج سالم ...)

(يستمر الدكتور فى الكتابة ...)

سالم : (يعود مسرعا) سيدى ؟ ...

محمود : ماذا جرى أيضاً ؟ ...

سالم : وأنا أهم بغلق الباب خلف الحلاق وقف المصعد أمام بابنا ولمحت فيه سيدة ...

(جرس الباب يدق ....) ها هى ...

محمود : صه ... لا تبد حراكاً ... إنا لسنا هنا ... لا أحد هنا ...

(لحظة صمت ، ثم يعود دق الجرس فى شدة)

سالم : الدق يشتد ..

محمود : لا ضرر ...

سالم : أخاف أن ينزعج جيراننا فى الطابق ...

محمود : انزعاجهم خير عندى من انزعاجى ...

(الطرق يزداد بشدة ...)

محمود : (لسالم) قف مكانك ... إلى أين ؟ ...

سالم : أستطلع على الأقل من القادم ...

محمود : إياك وفتح الباب ...

(الخادم يخرج ... ولا يلبث أن يعود مسرعا بعد لحظة ...)

سالم : فتحت ...

محمود : لا أفلحت ! ... قبحك الله من ممرض ! ...

سالم : (كمن يلهث) تلك سيدتى بالباب ! ...

محمود : (يرفع رأسه) سيدتك ؟ ... وما أتى بها الساعة ؟ ...

إقبال : (من الخارج بعد لحظة) ما شاء الله ... ما معنى إغلاق باب العيادة على هذه الصورة ؟! ...

(ثم تدخـل ... وهـى سيـدة فى الخامسة
والثلاثين ، ذات ملاحة وأناقة وثيابها ثمينة من
أحدث طراز ... وهى تعنى كثيراً بشأنها)

إقبال : (لسالم دون أن تلتفت إلى محمود) من معه هنا ؟ ...

(تبحث بعينيها فى أنحاء المكان.ثم تتجه إلى الستائر
وتبحث خلفها ....)

محمود : (فى هدوء) تبحثين عنى ؟! ...

إقبال : أجبنى أولا بصراحة ، هل أنت وحدك هنا ؟ ...

محمود : (باسماً فى شبه تهكم وهو يدير عينيه باحثـاً فى أنحاء الحجرة) أنا ؟ ... لست أدرى ... لقد رأيت بعينيك النجلاوين ...

إقبال : (وهى تخلع قفازها الثمين الأنيق) هذا غريب ...

محمود : أغرب منه قدومك الآن إلى محل عملى على هذه الصورة البوليسية ! ...

إقبال : (أيسوؤك) قدومى إلى محل عملك الآن ؟! ...

محمود : بلا سبب ؟ ..

إقبال : لا شىء فى الدنيا بلا سبب ...

محمود : ما هو السبب ؟ ... جمال عادت إليه النزلة المعوية ؟ ...

إقبال : لا ... جمال فى صحة جيدة ، ولو كان مريضاً لاستدعيت

له الدكتور أسعد كالمعتاد ... وكفى ...

محمود : إذن ما السبب ؟ ... هل رجع من المدرسة وتلقى درسه الخاص ؟ ...

إقبال : نعم ... وقد غادرته مع مدرسه الشيخ عبد العظيم ...

محمود : (ينظر إليها فاحصاً) وأنت صحتك كذلك جيدة فيما أرى ... وإنكِ لغاية فى الرشاقة ، وثوبك غاية فى الأناقة ...

إقبال : (فى برود) نعم ... غاية فى الأناقة والرشاقة ...

محمود : إذن ما الذى جرى فى الفلك ؟ ...

إقبال : أتريد أن تعرف ما الذى جرى فى الفلك ؟ ..

محمود : (فى تهكم) ذقنى لم تحلق منذ ثلاثة أيام ...

إقبال : لا شأن لى اليوم بذقنك ...

محمود : اليوم ؟ ...

إقبال : (فى تحامل) الرجل الكهل لا تنفع فيه زينة ...

محمود : (فى هدوء وابتسام) هذا رأيى دائماً ... وأنت تعلمين أنى لم أزعم يوماً غير ذلك ... (ويشير إلى ملابسه البسيطة وإلى شأنه المهمل) ...

إقبال : (تستمر) من وخط أغلب شعره الشيب لن ينفع فيه خضاب ...

محمود : أنت تعلمين كذلك أنى لم أفكر يوماً فى خضاب شعرى ...

إقبال : (تستمر) من عمره اليوم قد جاوز الخمسين ...

محمود : (باسماً) خريفاً ...

إقبال : نعم ... خريفاً .. أى يكبرنى بتسع عشرة سنة ...

محمود : (فى تسامح) فى الحساب غلطة صغيرة يا عزيزتى ... لكن لابأس ...

إقبال : (تستمر) ولقد مضى على زواجنا خمسة عشر عاماً ...

محمود : هذا صحيح ... كل هذا صحيح ولا نزاع فيه ... ثقى بذلك ... وإذا كنت قد تجشمت وجئت من البيت اليوم إلى هنا كى تفضى إلىّ بهذه المعلومات الخطيرة ؛ فأنت ولا ريب قد أضعت هذا العصر سدى ، وحرمت نفسك النزهة والزيارات وبهجة الدنيا ومتاعها ...

إقبال : هذه المعلومات الخطيرة أنت الآن تتجاهلها ...

محمود : من أدراكِ ؟ ...

إقبال : هذه العيادة المغلقة على نحو مريب ، ووجودك هنا تنتظر ...

محمود : (باسما) تشريفك ...

إقبال : بل من هو خير منى ...

محمود : المرضى ...

إقبال : أتستطيع أن تخبرنى أى طبيب يغلق بابه مثلك ؟ ...

محمود : نحن يا عزيزتى أغنياء .. ولسنا فى حاجة إلى المرضى ... وأنا كما تعلمين طبيب استشارة ؛ لا طبيب علاج ..

إقبال : نعم ... أغنياء حقيقة ... وهذه الثروة الكبيرة هى التى تطمع فيك بعضهم ... ولا تظن شيئاً غير ذلك ..

محمود : ثقى أنى لا أظن شيئاً غير ذلك ..

إقبال : مهما قالت لك امرأة ..

محمود : ليس لى كلام مع النساء ...

إقبال : إنى أخشى أن يلعبن بلبك ...

محمود : اطمئنى ... إنى أعرف بهن منك ...

إقبال : لو كنت تعرفهن لما ضحكت منك هذه الفتاة ...

محمود : أى فتاة ... ؟

إقبال : أتحسب شيئاً يخفى فى هذا البلد ؟ ...

محمود : هذه الفتاة مجنونة، وقد أخبرتك بأمرها من أول يوم .. ولو أنك أحسنت بى الظن لفهمت أنى إنما أغلق بابى على هذه الصورة حتى لا تدخل هذه الفتاة..

إقبال : إذن كيف انتشر الخبر ؟ ...

محمود : أى خبر ؟ ...

إقبال : إنك ستقترن بها ...

محمود : أقترن بها ؟ ... لماذا ؟ ... وأنت أين تذهبين ؟ ...

إقبال : تطلقنى ... أو تبقينى وتدخلها ضرة علىّ ! ...

محمود : أبعد هذا الزمن ؟ ... أوَتصدقين ؟ ...

إقبال : وإذا حدث ذلك ؟ ...

محمود : يحدث فى كهل غافل ... فهل أنا كذلك فى رأيك ؟ ...

إقبال : سمعت فى البيوت همساً بأن هذه الفتاة تحبك ، وتقسم أنها لن تتزوج سوى محمود ؟! ...

محمود : محمود ؟! ..

إقبال : نعم ... بهذا الاسم ... محمود أو تموت ...

محمود : (فى تهكم) مسكينة ! ...

إقبال : مع أن لها ثلاث شقيقات متزوجات من رجال محترمين أصغر منك سناً ، فهل حسبتك هذه البلهاء لقطة ... ثق أن شقيقاتها سوف يهزأن بها ويعيرنها بالكارثة التى بلاها بها الزمن فى شخصك ...

محمود : مؤكد ...

إقبال : هذه الفتاة ولا شك حمقاء بلهاء عمياء ...

محمود : بدون شك ...

إقبال : ومع ذلك من يدرى سرها ؟ ... لست أفهم ماذا أعجبها فيك ؟ ... فلا شباب عندك ، ولا جمال ، ولا رشاقة ، ولا أناقة ، ولا لطف ، ولا ظرف ، ولا حلاوة كلام ، ولا خفة دم ، ولا ...

محمود : (**مقاطعا**) إلى آخره ... إلى آخره ...

إقبال : حقيقة ليس عندك مطلقاً شيء يحب ...

محمود : عندى شيء يحب ...

إقبال : ماذا عندك يحب ؟ ...

محمود : زوجتى المحبوبة التى هى أنت ...

إقبال : (**مستمرة**) دعنا من هذا الملق الرخيص ... أنت لا شيء يحب فيك إلا ثروتك ... هذا كل ما لديك ...

محمود : هذا ما يشفع لى عندك أنت على الأقل ...

إقبال : وعند تلك الفتاة ...

محمود : يدهشنى مع ذلك أنها ليست من أسرة فقيرة ...

إقبال : وما يمنع ؟ ...

محمود : صدقت ، لا مانع مطلقاً عند النساء ...

إقبال : (**بعد لحظة**) ومع هذا كله هب أنها كانت مغفلة وأحبتك ...

محمود : وماذا تريدين أن أصنع للمغفل ؟ ...

إقبال : هب أنها استطاعت اللعب بلبك هذه الفتاة ...

محمود : (**يعبس فجأة . ويعود إلى قلمه**) إقبال ! ... لقد نفد صبرى ... أرجوك ... أرجوك .. لاتضيعى وقتى أكثر من ذلك بهذا الكلام ... إن لدى الساعة عملا أهم عندى من

الحديث فى اللب والحب ...

إقبال : محمود ... زوجى ...

محمود : سبحان الله ! ... ما الذى جرى لك ؟ .

إقبال : أنت رب أسرة تعيش الآن هانئة ...

محمود : رب أسرة ، وزوج ، وأب ، وكل ما تريدين .. إنى أعرف واجباتى أضعاف ما تعرفين ...

إقبال : اذكر أى فضيحة تلحق بى عند الناس لو أنك أقدمت على ذلك ...

محمود : أهذا كل ما يروعك من الأمر ؟

إقبال : هذا ليس هيناً أن يقال فى مثل بيئتنا إنك تزوجت علىّ أخرى ، ولم أزل فى مقتبل العمر ...

محمود : ثقى قليلا برزانة هذا الكهل الذى هو أنا ...

إقبال : ومن يضمن لى هذه الرزانة ؟

محمود : ماضىّ الطويل الذى لا غبار عليه ..

إقبال : لست أنكر عليك ماضيك ؛ وإنى حقيقة أشهد لك بالعقل الرصين طول تلك السنين ... ولكن الإنسان فى ساعة واحدة قد ينسى كل شىء ويرتكب حماقة لا تغتفر ...

محمود : (فى اقتناع) هذا خطأ مبين ...

إقبال : أعرف مع ذلك أشخاصا وأسمع عن أناس كانوا

مثلك ...

محمود : ليس مثلى أحد من الناس ...

إقبال : كل الرجال سواء ..

محمود : إنى رجل كهل ، خبر الأشياء ، وزهد فى الدنيا ، وإن للسن قانونه ...

إقبال : لست أعترف بقانون لمثل هذه الأشياء ...

محمود : بالطبع ... باعتبارك امرأة لا يمكن أن تعترفى بحكم السن ...

إقبال : نعم ... امرأة تحكم بشعورها دائماً ، وهو وحده أصدق من كل قانون .

محمود : لو أن فى قاعة المحاضرات اليوم متسعا لوقتك الثمين لطلبت إليك الحضور كى تعرفى ... سأتحدث عن علاقة النفس البشرية بالزمن والسن ...

إقبال : تريد منى أيضاً أن أستمع إلى محاضراتك ... كلا ... كلا يا سيدى العزيز ... إن خياطتى تنتظرنى منذ ساعة ...

محمود : (ناظراً إليها) خياطتك طبعاً ...

إقبال : نعم خياطتى ... لماذا ترمقنى بهذه النظرة ؟ ...

محمود : أتساءل لمن تلبسين وتتزينين ؟ ...

إقبال : هذا سؤال لا يلقى على امرأة ...

محمود : أنت ربة أسرة وزوجة وأم غلام جاوز السنوات العشر ...

إقبال : (**كاظمة**) أنت لا تجهل أنى صغيرة السن ..

محمود : (**فى تهكم خفى**) نعم ... إلى الأبد ... لا أجهل ذلك ...

إقبال : (**تنفجر غاضبة**) لا شأن لك بى ولا بسنى ... إنى ما جئت لأتحدث فى سنى ... حدثنى أنت عن نفسك ، وعن سنك ، وعن شيبك وقبحك وثقل دمك ! ...

محمود : عدنا إلى الكلام فى ثقل دمى ! ...

إقبال : ما لك والغير ؟ ... تكلم فى شأنك أنت ...

محمود : لا تغضبى ... هونى عليك .. ليفتر ثغرك عن الابتسام ...

إقبال : انظر فى المرآة إلى هذه التجاعيد حول عينيك ...

محمود : إنى معترف أنك صغيرة السن دائماً ... وأن كل قوانين السن والزمن لا تنطبق عليك ، فهل من جناح علىّ فى هذا الاعتراف ؟ ...

إقبال : (**فى غضب**) سأنصرف ...

محمود : بهذه السرعة ..

إقبال : أين سيارتى ؟ ...

محمود : (**فى تهكم**) أتبحثين عنها فى هذه الحجرة ؟ ..

إقبال : (**تتجه إلى النافذة**) بل فى الشارع .. إنى لا أراها من هذا

العلو الشاهق ... (**تتحرك نحو الباب**) ولكن ... ولكننى لا أستطيع الاطمئنان إلا إذا ضمنت لى ...

محمود : أتعودين إلى مثل هذا الموضوع ؟ ...

إقبال : كلمة واحدة هى الأخيرة ... اضمن لى كتابة كى أطمئن ..

محمود : أضمن لك ماذا ؟ ...

إقبال : أنك لن تفعل ذلك ...

محمود : لن أفعل ذلك ...

إقبال : كلا ... اضمن لى كتابة ... (**تقترب من المكتب وتأخذ ورقة وقلما**) ها هى الورقة ، وها هو القلم ... اكتب ...

محمود : (**يتناول منها الورقة والقلم**) أكتب ماذا ؟ ... اللهم رحماك وعفوك ورضاك ! ...

إقبال : (**تملى**) اكتب ... أتعهد أنا محمود عزمى بأنى لن أتخذ لى زوجة غير زوجتى إقبال ما حييت ...

محمود : ألا تثقين بى ؟ ... ألا يوجد بيننا ثقة متبادلة ؟ ...

إقبال : اكتب ...

محمود : يا لعقول النساء ! ... (**يكتب**) أتعهد أنا محمود عزمى ... « إلخ إلخ » ...

إقبال : اكتب أيضاً : « وإذا فعلت لأى سبب من الأسباب أدفع لها

فورا مبلغ خمسين ألف جنيه نقدا .. »

محمود : خمسين ألف جنيه ؟ ...

إقبال : أتستكثر المبلغ ؟ ...

محمود : بالعكس ... هذا ثمن بخس تبيعيننى به ..

إقبال : وقع بإمضائك فى ذيل الورقة ...

محمود : الإمضاء والتاريخ وكل ما تطلبين ... ألك طلبات أخرى أو أوامر ؟ ...

إقبال : كلا ... هات الورقة . (**تأخذ الورقة وتضعها فى حقيبة يدها التى تحملها .**) الآن أنت ...

محمود : الآن أنا حر ؟! .. أليس هذا ما تقصدين ؟ ...

إقبال : (**تتحرك إلى الباب**) إلى الملتقى ...

محمود : (**وهو يتبعها بنظره إلى أن تخرج**) إلى الملتقى القريب يا سيدتى ... أف ! ...

(**ثم يعود إلى المكتب ويجلس إليه ويستأنف الكتابة**)

سالم : (**يدخل**) سيدى الدكتور ! ...

محمود : (**وهو يكتب دون أن يرفع رأسه**) ماذا تريد أيضاً ؟

سالم : إذا طرق الباب مرة أخرى ...

محمود : (**يرفع رأسه منتهراً**) اخرس ! .. لدى أعمال أخرى ...

أتظل طول اليوم تتكلم فى طرق الباب وفتحه ؟! ..

سالم : لا أفتح ... فهمت ... (**فى صوت خافت**) بل والله لم أفهم ...

(يخرج ... وما يكاد يختفى حتى يطرق الباب ...)

(محمود يرفع رأسه وينظر فى الساعة ، ثم يعود إلى الكتابة ...)

(سالم يظهر حائراً بباب الغرفة فيلقى سيده مشغلا بالكتابة غير آبه فيرتد على أعقابه ... الطرق يشتد كثيراً . ثم يسمع صوت زجاج يكسر وينهار على الأرض ، وآنسة صاخبة فى صوت عصبى ....)

(يستمر الطرق فى فترات دون مجيب ثم يشتد إلى حد مزعج ...)

سالم : (**صائحا فى الخارج**) انتظرى ... انتظرى ... إن الله مع الصابرين ...

الآنسة: (**صائحة فى الخارج**) افتح قبل أن أحطم بقية الباب ...

سالم : (**فى الخارج**) الدكتور ليس هنا ..

الآنسة: (**فى الخارج**) أنت كاذب ... إنه هنا ...

(ثم يسمع صوت الباب يفتح ويغلق ....)

سالم : (**يسرع داخلا**) فتحت يا سيدى ... أو على الأصح ...

محمود : (**وهو يكتب غير آبه ناظراً إليه**) بلغنا ما حصل ...

عزيزة : (**وهى الآنسة ، تدخل برغم سالم ، وهى فى الثامنة عشر ربيعا ، جميلة أنيقة ... تنظر إلى محمود وتقول لسالم**) ليس هنا ، أما هذا فتمثاله ، تمثال رخامى بديع ... أليس كذلك ؟ ...

محمود : (**وهو يكتب دون أن يرفع رأسه**) رح يا سالم وأحضر فنجانين من القهوة من غير كلام ...

(**تجلس على مقعد فى صمت تنتظر أن يبدأ محمود الحديث**)

(**محمود بعد لحظة يرفع رأسه أخيراً ، ولكن كى يحك ذقنه بالقلم مفكراً** ....)

عزيزة : (**نافدة الصبر تتململ**) وأخيرا ؟! ...

محمود : (**يلتفت إليها**) أتكلمينني أنا يا سيدتى ؟ ..

عزيزة : (**فى كظم**) ما معنى كل هذا ؟! ...

محمود : كل هذا ماذا ؟! ...

عزيزة : (**تحاول الهدوء**) هذه الأبواب المغلقة ، كأنها أبواب قلعة محصنة ! ...

محمود : أكانت الأبواب مغلقة ؟ ...

عزيزة : ألم تسمعنى أحطمها تحطيما ؟ ...

محمود : أو حطمتها تحطيما ؟ ... براڤو ! ... أهنئك على هذا الفتح المبين ! ...

عزيزة : (فى كظم) يدهشنى أنك تعلم كل العلم أنى سأجىء فى هذا الوقت ، ومع ذلك ...

(**لحظة صمت ...**)

محمود : (**بدون أن يلتفت إليها**) كيف صحتك اليوم ؟ ...

عزيزة : سيئة ...

(**محمود يرفع رأسه ويحدق فيها بنظرة فاحصة .**)

عزيزة : ألا تصدقنى ؟ ...

محمود : (**وهو ينظر إليها فاحصا متهكما ...**) حقيقة .. إن حالتك غاية فى السوء ... فى مرحلة الخطر ! ...

عزيزة : لو تعلم كم أحس الضعف ...

محمود : حقاً ... ضعف شديد ... وصل إلى حد القدرة على أن تحطمى باب الطبيب تحطيما ...

عزيزة : لا تتهكم ... أنت ترانى شاحبة الوجه ...

محمود : القمر كذلك شاحب الوجه ...

عزيزة : (**مبتسمة**) أترى وجهى كوجه القمر ؟ ...

محمود : أليس لديك مرآة ؟ ... المرآة لا تفارق حقيبة امرأة ... سليها فهى عندكن أصدق من الطبيب ...

عزيزة : (**تلتفت إلى مرآة الحائط**) لست أرى فى المرآة ما تقول .

محمود : ليست هذه غلطتى ..

عزيزة : (**تنظر إلى محمود**) إنى أرى وجهك أنت أكثر شبها بالقمر ...

محمود : (**فى صدمة**) أستغفر الله العظيم ! ..

عزيزة : ثق أن وجهك أنت ...

محمود : وجهى أنا ...

عزيزة : أنضر من وجهى . ...

محمود : وجهى أنا أنضر من وجهك ؟ ...

عزيزة : بالتأكيد ..

محمود : (**يشير بإصبعه إلى وجهه**) وجهى هذا تقصدين ؟ ...

عزيزة : وهل لك وجه غيره ؟ ...

محمود : (**يشير إلى وجهه ثم إلى وجهها**) وجهى هذا أحسن من وجهك هذا ؟ .

عزيزة : نعم ...

محمود : سامحك الله يا سيدتى .. أخجلت تواضعى أكثر مما ينبغى يا

سيدتى ...

عزيزة : ألا تعتقد هذا ؟ ..

محمود : اعتقدت الآن فقط أنك مريضة حقيقة يا سيدتى ...

عزيزة : قلت لك مراراً لست أحب لفظ « يا سيدتى » ...

محمود : يا آنستى ..

عزيزة : ولا هذا أيضاً ..

محمود : يا مريضتى ...

عزيزة : إذا شئت .. ولكن أفضل ذكر اسمى مجرداً ..

محمود : وما اسمك مجرداً ؟ ...

عزيزة : أتجهله ؟ ... هذا مستحيل ... إنى أحادثك كل صباح بالتليفون ، وأذكره لك . وطالما نادتنى به أمامك أختى الكبرى أو والدتى يوم كانت تأتى معى هنا ...

محمود : معذرة ... لقد نسيت ...

عزيزة : إلى هذا الحد ؟

محمود : فى مثل سنى تصبح الذاكرة ضعيفة .

(**عزيزة تصمت فى غيظ** ...)

محمود : أضعف من صحتك .. ألا تصدقين ؟ ...

عزيزة : (**فى كظم**) صدقنى ... أنك لست سهلا ولا بسيطاً ..

(**لحظة صمت** ..)

عزيزة : ومنذ متى نسيت اسمى ؟ ...

محمود : لست أذكر التاريخ ..

عزيزة : حتى هذا أيضاً ؟ ..

محمود : نعم ..

عزيزة : لقد حادثتك هذا الصباح بالتليفون ...

محمود : وماذا قلت ؟ ...

عزيزة : إنك ولا شك تنسى كل ما له علاقة بى ..

محمود : إنى معترف ...

عزيزة : نعم (**بعد لحظة**) قلت لك هذا الصباح أنا زيزى التى تكلمك ، وسآتى إليك فى منتصف السادسة ...

محمود : زيزى ... هذا اسم بديع ..

عزيزة : (**عابسة**) كفى ...

محمود : (**ناظراً إليها**) غضبت ...

عزيزة : نعم ... لأول مرة أغضب عليك وأكرهك ..

محمود : (**فى حركة تمثيلية ساخرة**) هكذا مرة واحدة ! ...

عزيزة : إنك تستطيع أن تحادثنى بكلام أرق من هـذا ... لماذا أحادثك أنا بكلام لطيف ؟ ..

محمود : لأنك سيدة لطيفة ...

عزيزة : هل فى الوجود من يصدق أن مثلك يصنع هذا مع مثلى؟..

محمود : تلك ولا شك إحدى العجائب ...

عزيزة : إنك كنت تكلمنى كلاماً عذباً يوم جئتك مريضة بالصداع ... ألا تذكر .. وكنت تعنى بى أشد عناية ... وكان اهتمامك الحار يكتنفنى من كل جانب . إنى لم أزل أذكر كلامك الرقيق يومئذٍ ...

محمود : الكلام الرقيق نحفظه هنا للمرضى ..

عزيزة : ليتنى كنت مريضة ...

محمود : أراك قد اعترفت الآن أنك بخير ..

عزيزة : إنك تعاملنى معاملة قاسية.. قاسية جداً ...

محمود : المعاملة التى يستحقها أمثالك ...

عزيزة : أمثالى ؟! ...

محمود : نعم .. الذين يجيئون للعبث بوقت الطبيب ! ...

عزيزة : (فى غضب) أشكرك يا محمود ...

محمود : (فى تجهم) من فضلك قولى « يا دكتور » ...

عزيزة : (فى امتعاض) ألا تحب أن أناديك هكذا ؟ ...

محمود : لا أحب ...

عزيزة : ولم لا ؟ ...

محمود : لأن من يملك حق ندائى باسمى المجرد شخص واحد : زوجتى ...

عزيزة : (**تطرق**) آه ... إنى آسفة ..

محمود : أماكنت تعلمين أنى زوج ؟ ...

عزيزة : أعلم ...

محمود : وأنى والد كذلك ؟ ...

عزيزة : أعرف ...

محمود : وبرغم هذا تأتين كل يوم لتمثيل هذه المهزلة ...

عزيزة : (**مصدومة**) تمثيل هذه المهزلة ... ماذا تعنى بهذا ؟ ...

محمود : أرجو منك أن تحسنى بى الظن قليلا أيتها الآنسة ...

عزيزة : لست أفهم ما تريد ...

محمود : (**يشير إلى سوالفه**) أترين هذا الشيب ؟ ..

عزيزة : ؟ ...

محمود : (**يشير إلى جبينه ووجهه**) وهذه التجاعيد ؟ ...

عزيزة : ؟ ..

محمود : إنها قد تدل أحياناً على شيء آخر غير البله وغير الغفلة ...

عزيزة : (**تنتفض ، ثم تتكلم بجهد**) إنك لتهيننى بهذا القول ...

محمود : إنى أدافع عن نفسى ...

عزيزة : (**فى خطورة**) ماذا تعنى بكلامك ؟ ...

محمود : أظن أن كلامى واضح ...

عزيزة : هذا أمر شنيع ما ترمينى به ..

محمود : لست أرميك بشيء ... هونى عليك ودعينا من هذا كله ... الساعة الآن (**ينظر فى ساعته**) ساعتى وقفت ... كم الساعة فى معصمك ؟ ...

عزيزة : (**تغالب دموعها**) أنا أمثل مهزلة ...

محمود : (**وهو يشتغل بملء ساعته**) تمثلين مهزلة أو تمثلين مأساة ... هذا أمر يرجع إلى طبيعتك ، وقدرتك ، ومواهبك فى التمثيل ... المهم أن نختصر كل هذه المواقف لأن وقتى ضيق ...

عزيزة : (**فى صوت خافت مختنق**) أشكرك ...

محمود : (**وهو يفحص ساعته**) العفو ...

عزيزة : (**تسيل العبرات من عينيها**) ؟ ...

محمود : (**يرفع رأسه عرضاً بعد فحص ساعته فيراها**) أتبكين بدموع حقيقية ؟! ...

عزيزة : (**تخرج منديلا من حقيبة يدها وتمسح عينيها**) ؟ ...

محمود : شهدت وآمنت أنك بارعة ؟ ... (**ينظر إليها لحظة**) كفكفى سريعا هذه الدموع .. ولنستعد .. لدى محاضرة ألقيها بعد نصف ساعة .. وإذا أردت أن تسدى إلىّ يداً حقيقة فأعيرينى سيارتك حتى كلية الطب .. فقد ذهبت زوجتى بسيارتها إلى الخياطة .. وسيارتى سائقها مريض ...

ولعل العناية الإلهية ما أرسلتك الآن فيما أرى إلا لهذه الغاية السامية : خدمة العلم ... أليست سيارتك بالباب ؟ ...

(**يفتح النافذة وينظر إلى الشارع** ...)

عزيزة : (**مطرقة**) ؟ ...

محمود : (**يترك النافذة ويعود بعد أن يحاول عبثاً رؤية ما أراد**) يا آنسة ... أخبريني ! ... ما هو لون سيارتك ؟ ...

عزيزة : (**ترفع رأسها**) أتستطيع أن تخبرنى لأى غرض أمثل المهزلة والمأساة ؟ ..

محمود : لقد فرغنا من هذا الموضوع ...

عزيزة : لى الحق أن أسألك ..

محمود : ليس لدى الوقت الآن ... أرجوك .. قدرى ما أنا فيه من عمل جدى ووقت ضيق ...

عزيزة : (**فى قوة مخيفة**) إنك لن تبرح هذا المكان قبل أن أعلم .. أتسمع ما أقول ؟.. لن تبرح ... لن تبرح ...

محمود : أتتوعدين ؟ ...

عزيزة : نعم .. أتوعد ... إنك لا تدرك ما أستطيع أن أفعل ..

محمود : ماذا تستطيعين أن تفعلى ؟ ...

عزيزة : إنك لا تعرفنى ...

محمود : طبعا ... ومنذا يعرف المرأة ؟ ...

عزيزة : أخبرنى ما هو الغرض الذى تزعم أنى ...

محمود : أتريدين أن تعرفى هذا الغرض ؟ ... بسيط جدا ، وواضح جدا ، ومعقول جدا : غرض كل حسناء أنيقة تلاطف كهلا ثريا ...

عزيزة : (**تتجلد**) ثريا ؟! ...

محمود : (**باسماً**) طبعا .. لأن الكهل الفقير يساوى عندكن بالضبط شروى نقير ...

عزيزة : (**لا تتماسك**) أنت وغد ...

(محمود يفاجأ .. يتغير وجهه ... لكنه يتماسك ، وعندئذ يدخل سالم حاملا صينية عليها فنجانان من قهوة ويتقدم إلى عزيزة فلا تتحرك ... ويلفظ خافتا : « القهوة » فلا تتحرك وتظل فى إطراقها ... فيلتفت إلى سيده ، فيلقاه كذلك مشغولا عنه وعن القهوة وهو فى إطراق كذلك وتقطيب ... ويتردد سالم حائراً فيما يصنع ... ويبدو له أخيراً أن يضع الصينية فوق مائدة صغيرة قرب المقاعد وينصرف وهو ينقل عينيه بين الاثنين الجامدين فى دهشة لأمرهما ...)

محمود : (**بعد لحظة يرفع رأسه**) هذه أول مرة فى حياتى يوجه لى هذا اللفظ ...

عزيزة : (**لا تتحرك**) ؟ ...

محمود : (**بعد لحظة صمت**) ماذا فى جعبتك أيضاً أيتها السيدة المهذبة ؟ ...

عزيزة : (**لا تتحرك**) ؟ ...

محمود : أرى الموقف قد طال ... اعلمى أيتها الآنسة أنى جاوزت السن التى يضيع فيها وقتى فى مثل هذه السخافات ... لو كنت شابا فى العشرين أو الثلاثين لكان هذا طبيعياً ومعقولا ... ولكن وضعى لا يحتمل ذلك ...

عزيزة : (**فى صوت متغير**) وهل تظن امرأة فى موقفى الآن تستطيع احتمال ذلك ؟!

محمود : ستبكين من جديد ؟! ...

عزيزة : (**تتماسك وتكتم بمجهود ظاهر**) أنت مخطئ!.. إنى فى غاية الهدوء ... (**تشير إلى صينية القهوة**) هل تأذن لى فى تناول فنجان القهوة ؟ .. (**تمد يدها إلى الفنجان**) شكراً ...

محمود : (**ينظر إليها ساخراً وهى ترشف القهوة**) احترسى حتى لا تسقط دموعك فى الفنجان ..

عزيزة : لا شأن لك بدموعى ... قلت لك إنى هادئة ...

(صمت ...)

عزيزة : (بعد لحظة) الى أن أقول لكَ كلمة ؟ ... كلمة واحدة فقط ...

محمود : لك كلمتان يا سيدتى ...

عزيزة : ماذا تحب أن أفعل كى تعتقد أنى لست أمثل مهزلة ، وأنى جادة فيما أقول .. وأنى فى أشد الحاجة إليك ، وأنك أنت الذى تستطيع أن ...

محمود : (فى تهكم) أهذه هى الكلمة الواحدة ؟ ...

عزيزة : أرجو منك أن تجيب عن سؤالى ...

محمود : هذا موضوع إن فتح اليوم فلن يقفل ...

عزيزة : أرجو أن تجيب ...

محمود : الآن مستحيل ... غداً إذا شئت ... إنى أعلم أنك ستأتين أيضاً فى الغد ...

عزيزة : كلا ... أنتَ مخطئ ... لن آتى فى الغد ...

محمود : ستأتين بعد غد إذن .. أو بعد بعد غد ..

عزيزة : أعدك أنك لن ترانى إلى الأبد ...

محمود : حسن ... إذن أجيبك عن سؤالك الآن فى الحال ... هاتى أولا السؤال ...

عزيزة : قلت لك ماذا أفعل فى رأيك حتى تصدقنى ؟ ...

محمود : ماذا تفعلين حتى أصدقك ؟ ...

عزيزة : نعم ... ماذا أفعل ؟ ... ماذا ينبغى أن أفعل ؟ ...

محمود : لا تفعلى شيئا مطلقاً ...

عزيزة : دع المزاح ... إنى فى أشد مواقف حياتى جداً وحرجاً ... إنى شقية .. إنى تعسة ...

محمود : (**ساخراً**) يا للهول ! ...

عزيزة : متى تصدقنى ؟ ... تكلم ... أرجوك ! ...

محمود : أصدقك فى العالم الآخر إن شاء الله ! ... لأنى لا أصدق امرأة فى عالمنا هذا ...

عزيزة : لن أستطيع الاعتماد عليك إذن ؟ ... خاب أملى فيك ! ...

محمود : تمام .. وأنصحك بإخلاص ألا تضيعى وقتك معى ...

عزيزة : لن تنقذنى إذن ؟ ... لا تريد أن تنقذنى مما أنا فيه ..

محمود : أنقذى أنت وقتى ... أرجوك يا آنسة ! ...

عزيزة : وهو كذلك ... (**هامسة**) لن أضايقك ... لن أضايق أحداً بعد اليوم ! ... (**تمديدها إلى فنجان القهوة الآخر**) أنت لن تشرب هذا الفنجان الآخر ؟ ...

محمود : تفضلى ...

عزيزة : (**ترتشف الفنجان الآخر فى بطء**) متشكرة ! ...

محمود : وأخيراً يا آنستي يحسن الآن أن ينزل الستار الختامى على هذه

القصة المؤثرة ...

عزيزة : (**فى هدوء خطير وهى تنظر إليه**) سريعاً ..

محمود : لماذا تنظرين إلىّ هكذا ؟ ...

عزيزة : أسرع مما تتصور (**فى همس**) كان يجب أن أتوقع هذا من قبل ...

محمود : (**مبتسما**) كان اليوم آخر سهم عندك إذن ؟! ...

عزيزة : (**فى صوت خافت**) بالضبط ... (**تضع الفنجان فى مكانه وتنهض**) آخر سهم ! ...

محمود : أحان وقت الانصراف ؟

عزيزة : (**تمد له يدها**) إلى اللقاء ... على كل حال ...

محمود : متى ؟ ... غداً ؟ ... بعد غد ؟ ...

عزيزة : كلا ... اطمئن ... لست أنا هذه المرة التى أحدد الميعاد ...

محمود : ولا أنا فيما أظن ...

عزيزة : صدقت ... ولا أنت ...

(**تتجه إلى النافذة ...**)

محمود : الباب من هذه الجهة أيتها الآنسة ..

عزيزة : أعلم ...

محمود : إنك تذهبين جهة النافذة ...

عزيزة : (**وهى تفتح النافذة على مصراعيها**) أعلم ... محمود ...

محمود : قلت لك لا تذكرى اسمى المجرد هكذا ... عيب ! ...

عزيزة : آسفة ... إنما أردت أن أنادى سائق سيارتى ..

محمود : سائق سيارتك ؟ ...

عزيزة : (**وهى تطل من النافذة**) نعم ... هو أيضاً اسمه مثل اسمك ! ...

محمود : تشرفنا ... أتريدين من هذا العلو الشاهق رؤية سائقك الذى أتشرف أن أكون سميه ؟

عزيزة : (**تطل من النافذة**) حقاً ، نحن الآن مرتفعان عن هذه الأرض كثيراً ؟ ..

(**تصعد فوق مقعد وتتسلق النافذة ....**)

محمود : أنت فى الطابق الخامس ... دعى المزاح واتركى النافذة لئلا تنزلق قدمك الصغيرة ...

عزيزة : إنى لا أمزح ..

محمود : اتركى النافذة ...

عزيزة : (**فى ابتسامة غامضة**) ألا تصدق على الأقل أنى الآن جادة فيما أقول وأفعل ؟ ...

محمود : أصدق أن عقول النساء صغيرة (**جرس التليفون يدق فيتناول السماعة**) كفى هذرا وضياع وقت ... ألو

ألو ... نعم ... أزفت الساعة ؟ ... إنى قادم على عجل
(**يضع السماعة**) ...

عزيزة : (**فى ابتسامتها الغامضة**) أى ساعة قد أزفت ؟ ...

محمود : (**فى كدر وحنق**) ساعتى يا سيدتى ...

عزيزة : (**غامضة**) بل ساعتى أنا ...

محمود : حان الوقت و لم أكتب ختام المحاضرة ... آه لو علم الناس كيف يضيع وقت العلماء ... هلمى بنا ... وإلا تركتك ها هنا أيتها الآنسة ...

عزيزة : (**وهى منتصبة فوق جدار النافذة**) اذهب واتركنى ..

محمود : (**فى صبر نافد**) ماذا تقولين ؟ ... أهو عبث جديد ؟ ... إن هذا لم يكن فى الحسبان .. لقد طال الهزل ونسينا الجد ... أرجو أن تضعى حداً لكل هذا ... اتركى النافذة أوارمى بنفسك منها ... افعلى أى شىء يا سيدتى على شرط أن تسرعى ... يجب أن تعلمى أن لدى الآن محاضرة عامة ألقيها والناس ينتظرون ...

عزيزة : إلى اللقاء ...

محمود : (**فى ضيق**) سمعت هذه الكلمة مرارا ...

(**يتركها فى ضيق ويستدير إلى مكتبه ويشتغل بجمع أوارقه التى كان يكتبها** ...)

عزيزة : (فى صيحة) محمود.. حبيبى إلى الأبد .

(ثم تلقى بنفسها من النافذة ...)

محمود : (**وهو مشتغل بأوراقه**) حبيبك ... ما شاء الله ... ما شاء الله ! ..

(يلتفت إليها فى النافذة فلا يجدها فتقع فى الحال من يده الأوراق ويصرخ جاريا إلى النافذة ...)

(ثم يقول فى رعب ...)

آنسة ... آنسة ... ألقت بنفسها ... رمت نفسها ... رمت نفسها ...

(ويرتمى على النافذة ناظراً إلى الشارع ويسمع عندئذ من أعماق الشارع أصوات الناس ترتفع فى هرج ومرج وصياح ، ثم صوت صفير رجال الشرطة ، وحركة انقلاب وهياج بالطريق يتخلله الصياح والصفير ...)

الفصل الثانى

(عين منظر الفصل الأول : الأبواب مغلقة وقد وقف شرطي على كل باب : وكيل النيابة يفحص النافذة التى سقطت منها عزيزة ويقيس ارتفاعها عن أرض الحجرة ، وبجواره أحد ضباط البوليس ، بينما كاتب التحقيق عند المكتب يطرق الباب ويدخل شرطى يحمل مظروفا يتسلمه منه الكاتب ...)

كاتب التحقيق : ورد تقرير الطبيب الشرعى ...

وكيل النيابة : ماذا وجد ؟ ... اقرأ ..

كاتب التحقيق : (**يفحص المظروف ويقرأ**) وجدت الجثة فى حالة تيبس رمى غير كامل ... وتعفن مبتدئ على هيئة انتفاخ ، واخضرار بجدار البطن ، ووجد سائل دموى يخرج من الأنف والفم ... وبنزع فروة الرأس وجدت كسور كثيرة بالجمجمة وانسكابات دموية شديدة فى جوهر المخ . وبفتح

التجويف الصدرى وحد انسكاب مصلى دموى شديد ... وبرفع الرئتين والقلب وجدت كسور حيوية بكل من الضلع الأول إلى الخامس الأيسر . وبتشريح العنق وجدت أنسجة سليمة وكذلك العظم اللامى ، والغضاريف الحنجرية والقصبة الهوائية تحوى مواد لزجة رغوية ... وبفتح التجويف البريتونى وجد خالياً من الأنزفة ... وبفتح المعدة وجد بها طعام مهضوم ، ووجدت الأحشاء محتوياتها سائلة .. النتيجة : الإصابات السالف ذكرها حدثت من مصادمة شديدة بجسم راض صلب ؛ ويجوز حصولها على أثر سقوط على الأرض من مكان مرتفع ، والوفاة نتجت من الصدمة العصبية والارتجاج الدماغى ، ومضى على الوفاة حتى إجراء الصفة التشريحية نحو اثنتى عشرة ساعة ...

(**يطرق الباب بشدة ...**)

شرطى : (**يفتح الباب قليلا**) الدخول ممنوع ...

إقبال : (**من الخارج**) دعنى أدخل ...

شرطى : ممنوع ..

إقبال : أريد أن أخاطب وكيل النيابة بسرعة ...

وكيل النيابة : (**للشرطى**) دع السيدة تدخل ...

إقبال : زوجى تعب فيما أرى يا حضرة النائب .. و لم ينم طول الليل .. وأنا كذلك ... برغم الإذن لى بالعودة إلى المنزل لم أنم الليل من تأثير هذا الحادث المشئوم ...

النائب : كدنا نفرغ ... استريحى لحظة فى الحجرة المجاورة ...

إقبال : مع أهل الميتة !؟ ... مستحيل ! ... لن أنسى نظراتهم إلىّ البارحة .. كما لو كنا اغتلنا فتاتهم اغتيالا ...

النائب : تفضلى إذن بالجلوس على هذا المقعد ...

إقبال : (**تجلس وهى تتنهد**) كان مقدراً لى أن أرى كل هذا ..

النائب : أتسمحين لى أن ألقى عليك أسئلة أخرى ؟ ... أكنت تعلمين بوجود صلة بين زوجك وتلك الفتاة ؟ ...

إقبال : (**تتنهد**) كنت أسمع الناس تهمس بذلك ..

النائب : وماذا كان موقف زوجك من تلك الفتاة ؟ ...

إقبال : لا أدرى ..

النائب : ولماذا إذن ألقت الفتاة بنفسها من النافذة ؟ ...

إقبال : لا أعلم ... لم أكن حاضرة وقتئذ ...

النائب : عندما جئت البارحة ووجدت الأبواب مغلقة ، هل سألت زوجك فى ذلك ؟ ...

إقبال : نعم سألته ، فأجابنى إنه فعل هذا لكى لا تدخل تلك الفتاة ...

النائب : وهل علمت كيف دخلت ؟ ...

إقبال : أخبرنى سالم عقب الحادث أنها كسرت زجاج الباب ...

النائب : نعم ... كلمة أخيرة يا سيدتى ... كيف علمك بحياة زوجك الخاصة ؟ ...

إقبال : (فى شبه احتجاج) حياة زوجى الخاصة ؟ ... إن زوجى يا سيدى ليست له حياة خاصة ... إنه رجل مستقيم الخلق ، ورب أسرة لا غبار عليه ولا يعرف غير زوجته وولده ، والقدر وحده هو الذى سلط عليه هذه الفتاة المجنونة ...

النائب : معذرة وعفواً يا سيدتى ... إنى ما قصدت من سؤالى الأخير غير ..

إقبال : إنك تدرك يا سيدى ما أنا فيه الآن ... سيدة مثلى تصبح هكذا بعد ليلة واحدة مضغة فى أفواه الناس (**كالمخاطبة نفسها**) لقد هدم هذا الأحمق بيده هناء أسرته ...

(**يطرق باب الحجرة ...**)

شرطى : (**يلتفت إلى النائب**) والدة المجنى عليها ...

النائب : أدخلها ..

إقبال : (**تنهض**) سأنتظر فى مكان آخر ...

(**تتجه إلى الباب وتدخل أم المتوفاة فترمق إحداهما الأخرى بنظرة شزراء .. وتنصرف إقبال ...**)

النائب : (**يرى الأم تكفكف دمعها**) هوِّنى عليك يا سيدتى ..

الأم : أما زال التحقيق فى حاجة إلى وجودى ؟ ...

النائب : لقد فرغنا ... لكنى أريد أن أعرف منك شيئاً ... هل كنت تعرفين الدكتور محمود عزمى من قبل ؟ ...

الأم : بالطبع ... وقد جئت مع المرحومة ابنتى إليه هنا كثيراً يوم كانت تشكو الصداع ...

النائب : وبعد ذلك نشأت بينهما الصلة ...

الأم : نعم ..

النائب : أفاتحتك المرحومة ابنتك بهذه الصلة ؟ ...

الأم : كلا ... ولكنى كنت أسمعها تطلبه كثيراً فى التليفون وتذكر اسم محمود دائما ... سمعتها تقول ذات مرة : « إما أن أتزوج محمود أو أموت » ..

النائب : أشكرك يا سيدتى ..

الأم : هل أنصرف ؟ ...

النائب : ألا تريدين أن تلقى سؤالا أخيراً على الدكتور محمود عزمى ... (**للشرطى**) أحضر الدكتور ..

الأم : ماذا أقول له ؟ ... (**تبكى**) كفاية ما حصل ...

النائب : (**فى رفق**) صبراً يا سيدتى ...

(يدخل الدكتور محمود عزمى وقد بدا عليه التعب والألم)

النائب : (**لمحمود**) اجلس يا دكتور ...

(الدكتور عزمى يجلس ويطرق ...)

النائب : (**لمحمود**) أريد أن أعلم منك أمراً ... إنك تقول إن المتوفاة صعدت فوق هذا المقعد كى تصل إلى النافذة ، أما كان فى مقدورك أن تسرع إليها وتمنعها

من إلقاء نفسها ؟ ...

محمود : (**يرفع رأسه**) يا سيدى النائب لقد قلت لك : إنى لم أكن أصدق أنها جادة فى قولها ... إنك لا تدرك مبلغ وقع هذه الكارثة على نفسى ... لقد تم الحادث فى سرعة غريبة صدمت مخيلتى وأذهلتنى ... إنى لم أزل أجد صعوبة فى تصديق ما رأته عينى ...

النائب : أقالت لك إنها ستلقى بنفسها من أجلك ؟ ...

محمود : نعم ... قالت ذلك ...

النائب : وبالطبع حسبتها تمزح ...

محمود : من غير شك ... وهل كان يخطر لى على بال أن تلك الفتاة الجميلة تموت من أجل مثلى ... إنى ما زلت أشك ... أهى ماتت حقاً ؟ ...

النائب : (**يشير إلى تقرير الطبيب الشرعى**) اقرأ هذا ...

محمود : (**يتصفح التقرير**) الصفة التشريحية ...

(**الأم تتنهد** ...)

محمود : (**كالمخاطب نفسه**) نعم ... نعم ... واعجبا ... من كانت البارحة تدعى زيزى أصبحت اليوم خليطا متعفنا من المواد اللزجة الرغوية ...

الأم : (**لا تتمالك فتصيح باكية**) ، كفى ... بالله كفى ! ...

محمود : (**يلتفت إلى الأم متألما**) معذرة يا سيدتى ، معذرة ، وإن كان الأمر قد جل عن المعذرة ... إنى أدرك ما أنت فيه الآن ، وأرجو أن تحسنى بى الظن ، وأرجو أن تعتقدى .. أنى ... ماذا أقول ؟ ...

النائب : (**لكاتب التحقيق فى صوت خافت**) اطو الأوراق ...

الأم : (**باكية**) هذا قضاء الله ...

النائب : لقد تمت مهمتنا ... قبل أن ننصرف ... ألديكما أقوال أخيرة ؟ ...

الأم : (**باكية**) كلا يا سيدى ...

محمود : (**وهو مطرق يشير برأسه**) كلا ...

النائب : (**يتقدم نحوهما ويسلم عليهما مودعا**) الصبر يا سيدتى ، وأنت يا دكتور كذلك ...

(**ينصرف وكيل النيابة وكاتب التحقيق والضابط والشرطى ولا يبقى غير الدكتور والأم ....**)

الأم : (**تتحرك**) اسمح لى يا دكتور بالانصراف ...

محمود : (**فى ألم**) ابقى هنيهة يا سيدتى ... أريد أن أقنعك بشعورى ... ولا أجد كلمات ... ولا أجد قدرة على التعبير ... إن ألمى شديد لأنى أنا السبب ..

الأم : إنك لم ترتكب ذنباً يا سيدى ... ذلك قضاء الله ...

محمود : إنى يا سيدتى مذنب أمام ضميرى. كان ينبغى أن أصدقها ... (**كالمخاطب لنفسه**) ما أنبل عواطفها ، وما أجمل ما صنعت .. إنها فعلت ذلك من أجلى ... أنا الذى كذبتها وامتهنت شعورها و لم أصدق حرفا من كلامها .

الأم : لا فائدة ... لقد مضت ، وأصبحت من أهل العالم الآخر ...

محمود : (**ينظر إلى النافذة**)نعم ... مضت من هذه النافذة ... إن هذه النافذة عندى الآن لا يمكن أن تشرف إلا على العالم الآخر ..

الأم : (**تتحرك**) أستودعك الله يا سيدى (**تبكى**) لقد ماتت ابنتى فى ريعان صباها ، وأصبحت عدما ، ولن أراها بعد اليوم ... (**تبكى**) ...

محمود : (**فى ألم**) صبرا يا سيدتى ... هونى عليك ... إنك تزيدين فى ألمى ...إنها حقا قد ماتت ، ولكنها لم تصبح عدماً ... إن الأموات يا سيدتى ليسوا عدما .. إنهم كائنون أحياء ، لا فرق بينهم وبيننا فى نظر الأزل . وهم حيثما كانوا يؤثرون فينا وفى حياتنا كما لو أنهم بيننا ... لو تعلمين أية منزلة لهذه الفتاة فى نفسى الآن ؟ ... وأى تغيير طرأ فى مجرى حياتى منذ البارحة ؟

الأم : (**تلتفت إليه**) إنى أصدقك يا سيدى وأشكرك ، وأثق بك . إلى الملتقى .

محمود : (**يشيعها**) إلى الملتقى القريب يا سيدتى ... إن شعورنا متحد متلاق ... وفى تلاقينا وتشاكينا بعض التخفيف عما بنا ...

(**تخرج الأم ...**)

(**تدخل إقبال وتقابل الأم فى خروجها دون أن تكلم إحداهما الأخرى ...**)

إقبال : (**لزوجها فى فتور**) أحسنت صنعاً بمجاملة هذه الأم فإن مصابها حقاً أليم ...

(**محمود يجلس ويطرق ولا يتحرك ...**)

إقبال : برغم أنها لم ترع واجب اللياقة و لم تعن بأمرى وأنا صاحبة المكان ... (**محمود يتحرك قليلا ...**) يظهر أنها تنظر إلىَّ كما لو كنت ضرة لابنتها ... (**محمود يستدير وينظر إليها ...**) لماذا ترمقنى بهذه النظرة ؟

محمود : (**فى صوت جاف**) لماذا أنت هنا ؟

إقبال : لماذا أنا هنا ؟ ... أتكره أن أكون بجانبك فى الملمات ؟ ...

محمود : بجانبى ... نعم هذا كل ما تستطيعين ...

إقبال : ماذا كنت تريد أن أصنع لك أكثر من ذلك ؟ ...

محمود : اذهبى واستريحى من عناء السهر ..

إقبال : وأنت ؟ ...

محمود : لا شأن لك بى ...

(**لحظة صمت ...**)

إقبال : (**تتأمله صامتة لحظة من الوقت**) يا لله ... ما كل هذا الوجوم والتقطيب ؟ ... ما الذى تغير فى الفلك ..

محمود : ألا ترين ما تغير فى الفلك ؟ ...

إقبال : كلا بالطبع ...

محمود : لا فائدة إذن من الحديث معك أيتها المرأة ..

إقبال : أقسم أنك جننت ..

محمود : كفى ...

إقبال : لا ريب أن سلوكك اليوم غريب .... أفهم أن يتأثر الإنسان بحادث كهذا ... لكن التأثر لـه حدود ... إنى أنصح لك ...

محمود : لست أقبل منك نصحا ...

إقبال : (**تستمر**) أن تعود إلى البيت ، وتخلع ثيابك ...

محمود : سأخلع ثيابى هذه ... وسأرتدى ثياباً سوداء ...

إقبال : « حدادا » على من ؟ ...

محمود : (**يستمر**) لن أخلعها طول الحياة ..

إقبال : (**ساخرة**) وتطلق لحيتك أيضاً فيما أظن ...

محمود : سأفعل ...

إقبال : إنك ستجعلنا مضغة فى الأفواه ... وهزأة فى أعين الناس ...

محمود : لست أبالى بالناس ...

(**صمت** ..)

إقبال : (**بعد لحظة**) أتلك الفتاة ..

محمود : نعم ... تلك الفتاة ... ماذا تريدين ؟ ..

إقبال : لا شيء ...

محمود : أرجو أن تدعيني منفرداً الساعة ...

إقبال : (فى أسف) أين رزانتك وعقلك وماضيك الطويل الذى لا غبار عليه ؟ ... ألم أقل لك كل هذا يذهب فى ساعة واحدة ؟ ...

(محمود لا يتحرك ...)

إقبال : ألم تعتب علىّ أمس وتطلب إلىّ أن أثق بك ؟ ... فها أنذى أفعل .. ماذا صنعت بالثقة التى أوليتك إياها ؟ ...

(محمود يتململ قليلا ...)

إقبال : أعرفت الآن أنى كنت على حق فى ظنى ؟ ... تكلم يا محمود ... يا حبيبى ..

محمود : (**كمن يخاطب نفسه**) محمود ... حبيبى ...

إقبال : (**تنظر إليه متفرسة**) ماذا دهاك ؟! ...

محمود : تلك آخر كلمة لفَظتها !! ...

إقبال : (**فى كظم**) آخر كلمة لفَظَتْها ؟ ...

محمود : قبل أن تمضى ...

إقبال : (**فى صوت خافت**) إلى الجحيم ...

محمود : (**هائجاً**) إقبال ...

إقبال : لم أعد أحتمل صبراً ...

محمود : إقبال ...

إقبال : إنك لا تخيفنى بهذا الوجه وهذا الصوت ...

محمود : اغربى عن وجهى ..

إقبال : يا للغضب الهائل ...

محمود : قلت لك اغربى ..

إقبال : محمود !

محمود : لا تلفظى اسمى بعد اليوم ...

إقبال : أليس لى هذا الحق ؟ ..

محمود : كلا ... لم يعد لك ...

إقبال : ما الذى جرى ؟ ... هذه أول مرة تسىء فيها معاملتى ...

محمود : عودى إلى البيت ...

إقبال : ألست زوجتك المحبوبة ... وتاريخ زواجنا ..

محمود : لا تلقى علىّ الساعة تاريخا ... إنى تعب ..

إقبال : أرى هذا ...

محمود : ينبغى لك أن تسكتى وتحترمى ما أنا فيه ..

إقبال : أحترم ما أنت فيه ؟! ..

محمود : أو تنصرفى عنى ...

إقبال : سكت .. واحترمت ما أنت فيه .. كان مكتوبا علىّ ولا ريب أن أشاهد هذه المآسى المضحكة ... ولقد طالت بنا المشاهدة ونسينا أنفسنا .. ومنذ البارحة لم أتناول شيئاً من الطعام ... ما أجملها حياة ... لماذا يا إلهى سلطت علينا تلك الفتاة المفتونة ؟! ...

محمود : (غاضباً) فليخرس لسانك أيتها المرأة ...

إقبال : لسانى لن يخرس أيها الزوج الخائن ..

محمود : إنى أحرم عليك الكلام عنها ..

إقبال : يا للعجب لقد أشركت بى امرأة أخرى .. امرأة أخرى .. امرأة ميتة .. لكنك فيما أرى تقدرها أكثر من الحية ..

محمود : نعم أقدرها ... أقدرها وأجلها ...

إقبال : وماذا كسبت أنا بالورقة التى استكتبتك إياها ؟ ... إنى لا أستطيع حتى المطالبة بالخمسين ألفاً فى مثل هذه الحالة ، أوَ كان هذا يدور بخاطرى ؟ ... أنك تدخل ضرة علىّ ... امرأة من عالم الأموات ! ...

محمود : كفى ! ..

إقبال : (**بعد لحظة صمت وتأمل**) ألا ترى أن كل هذا

منك إخلال بواجب الزوجية ؟ ...

محمود : ليس يهمنى الآن واجب الزوجية ... ينبغى أن أؤدى واجبا أقدس من واجب الزوجية ، واجبا نحو إنسان منحنى حياته بلا مقابل ... حياة نضرة بأكملها ... أتفهمين ؟ ...

إقبال : هذا لا شأن لى به ...

محمود : نعم لا شأن لك به ... لأنك امرأة أنانية لا يعنيك من الحياة إلا ما يتصل بشخصك ، وما يعود نفعه عليك وحدك ... إنى الآن أمام حدث خطير فى حياتى وأمام شخص ينبغى أن أحنى رأسى إجلالا لما صنع ... أنت أيتها المرأة والزوجة ماذا أعطيت ؟ ... وأى إنسان على الأرض ماذا يستطيع أن يعطى إنساناً ؟ ... إن كل كنوز الأرض لا شىء إلى جانب حياة إنسان... ومن ذا فى هذا الوجود يبذل حياته الجميلة كلها لآخر بغير مقابل ؟ ... لكنها هى قد فعلت ذلك ..

إقبال : تذكر قبل كل شىء أنك رب أسرة تعيش الآن هانئة ... فلا تفسد هذا الهناء ...

محمود : مرة أخرى تتكلمين عن هنائك أنت ... قلت لك

لست أحفل الآن بهنائك أيتها المرأة ، ولست أعيش لك منذ اليوم فهمت؟لقد عملت على هنائك خمس عشرة سنة ، وأنفقت شبابى وأكثر عمرى لك .. فماذا تريدين الآن مما بقى من هذا العمر ؟ ... ما بقى هو لى وسأمنحه تلك التى منحتنى حياتها كاملة ... أتفهمين ؟ ... حياتها كاملة ... شبابها وجمالها وآمالها فى لحظة واحدة من هذه النافذة ... إنك لا تدركين عظم ما فعلت هذه الفتاة ... تخيلى هذا ... أن أطلب إليك أن تلقى بنفسك من هذه النافذة الآن من أجلى ... ماذا يكون جوابك ؟ ... وجمتِ ... اعترفى أنها قد أتت عملا عظيما وأنها ذات قلب نادر الوجود ... إنى ... أصارحك وأشهد على نفسى ولست أبالى بأحد ... سأعيش منذ اليوم لهذه الفتاة ... سأعيش بذكرى هذه الفتاة ...

(إقبال واجمة تطرق ...)

(صمت ...)

(يسمع فى الشارع أصوات باعة الصحف

منطلقين ينادون)

باعة الصحف : (**فى الخارج صائحين**) الحادثة ، الحادثة ، حادثة الانتحار ! ...

إقبال : (**كمن تخاطب نفسها**) يا للفضيحة ! ...

الفصل الثالث

(فى منزل الدكتور عزمى بهو فخم على أحدث طراز له جملة أبواب يتوسطها باب زجاجى رحب ، فى صدر المكان تنسدل على زجاجه الشفاف ستائر من الدمقس ... الأم والدة زيزى جالسة تنتظر وهى تتأمل حولها سيما البذخ على المكان ... إلى أن تدخل إقبال من باب جانبى صغير ...)

إقبال : **(فى استقبال وحفاوة)** أهلا وسهلاً ! ...

الأم : **(وهى تجيب عناق إقبال بالمثل)** أشكر لك زيارتك فى الأسبوع الماضى يا إقبال هانم وآسفة أشد الأسف على أنى كنت غائبة ..

إقبال : **(وهى تجلس بين يديها)** إنما أردت أن أحادثك ..

الأم : أعلم فيم الحديث ...

إقبال : **(فى تنهد)** نعم .. كل القاهرة تعلم ...

(إقبال الآن مهملة الهندام باد عليها

القنوط ...)

الأم : والله يا إقبال هانم لولاك أنت ما كنت أدخل هذا البيت ...

إقبال : لك العذر ...

الأم : ولك أنت أيضاً ... إنى أدرك ما تعانين ... ولو كنت فى مكانك ...

إقبال : لو كنت فى مكانى ماذا كنت تصنعين ؟ ...

الأم : إنه رجل غريب ...

إقبال : إنه لم يعد يحتمل ...

الأم : كم سنة لك معه ؟ ...

إقبال : خمس عشرة سنة ...

الأم : وهو يسلك هذا السلوك ؟ ...

إقبال : بالعكس ... لقد كان رجلا مستقيما وزوجا رزيناً لا غبار عليه ...

الأم : وما الذى دهاه إذن ؟ ...

إقبال : (**كالمخاطبة نفسها**) لست أدرى ...

الأم : أيمكن أن يتغير الإنسان فى آخر عمره ؟ ...

إقبال : لم لا ؟ ... ها هو ذا أمامنا المثل الحى ...

الأم : وينسى ما مضى من حياته ؟ ...

إقبال : فى ساعة واحدة ...

الأم : (**فى تنهد**) صدقت ... حتى المصاب الأليم قد نسيه ...

إقبال : (**فى مرارة**) لقد نسى كل ماضيه ... نسى كل شيء ... إنه انقلب اليوم رجلا آخر ...

(تدخل وصيفة تحمل فنجانين من القهوة على صينية ثمينة وتتقدم بها إلى الأم ...)

إقبال : (**للوصيفة إذ تفرغ من الضيفة وتتقدم بالفنجان إلى ستها**) أين سيدك كل هذا الوقت ؟ ...

الوصيفة : فى الحمام يا ستى ...

إقبال : (**تنظر إلى الأم نظرة ذات معنى**) طبعاً ... فى الحمام ... نعم ... دائماً .. (**ثم تلتفت إلى الوصيفة ثانية**) والحلاق ؟ ... وعاملات المحل ؟ ...

الوصيفة : لم يحضروا بعد ...

إقبال : (**للوصيفة مشيرة إلى مائدة صغيرة**) طيب اتركى الصينية وانصرفى ..

(الخادم تفعل ما أمرت به وتنصرف ...)

الأم : (فى دهشة) الحلاق وعاملات انخل ؟! ..

إقبال : نعم يا سيدتى ... الحلاق حلاق من أشهر حانوت ، تعاونه آنستان ، إحداهما تقوم بتنظيف وصقل أظافر اليد ، والأخرى أظافر القدم ...

الأم : أتمزحين ؟ ...

إقبال : كلا يا سيدتى ... لقد أمسى اليوم فى البيت لا عمل له ولا شغل سوى الحمام والحلاق والخياط ... ويظل الحلاق بالأصباغ يخضب ما وخط الشيب من شعره ... وبالمساحيق والكهرباء يفرك ما تجلد وجهه من تجاعيد كى يعيد إلى البشرة رونقها وشبابها ..

الأم : إنا لله وإنا إليه راجعون ..

إقبال : نعم بعد هذه السن يعود إليه الشباب من جديد ..

الأم : يا للعجب ...

إقبال : إنك لو شاهدته الآن لرأيت رجلا لا تعرفينه ؛ ولم يسبق لك به عهد .. متى تلاقيتما آخر مرة ؟ ..

الأم : رأيته آخر مرة منذ خمسة شهور ...

إقبال : ليلة الأربعين ... .

الأم : نعم ... بعدئذ بلغتنى أخباره الجديدة ...

(تضع فنجانها ، وكذلك إقبال ...)

إقبال : ألم تذهبى إليه فى العيادة ... ؟

الأم : ذهبت مرة ...

إقبال : شاهدت طبعاً صورة الفقيدة مكبرة فى صدر الحجرة ..

الأم : نعم ... ومن أجل هذه الصورة بالذات جئت أحادثك ...

إقبال : آه يا عزيزتى ... هذه صورة تعرض كل يوم على أفواج السيدات والآنسات المتدفقات على العيادة الآن فى غير انقطاع ...

الأم : علمت أخيراً ...

إقبال : نعم .. ذاك حديث البلد ، إن الصحف كلها نشرت بحروف كبيرة خبر الحادث فى حينه ... وروت أن آنسة جميلة من أسرة معروفة انتحرت من أجل الدكتور عزمى الطبيب المعروف ، ألم يطلعك أحد على أقوال الصحف يومئذ ؟ ...

الأم : أطلعونى ..

إقبال : ألا تتصورين بعد ذلك سيدات القاهرة وأوانسها يهرعن إلى هذا الطبيب مدفوعات على الأقل بحب

الاستطلاع ... يشاهدن الرجل الذى انتحرت من أجله آنسة جميلة معروفة ؟ ... ثم ألا تتصورين وابل الهوى والمغازلة والمطارحة يمطر على العبادة من كل جانب ؟ ...

الأم : (**فى مرارة**) شىء جميل ...

إقبال : (**فى مرارة أيضاً**) أليس كذلك ؟ ... رجل علم جاوز الخمسين ينقلب إلى دون جوان ! ...

الأم : وكيف تصبرين أنت على هذا الحال ؟ ...

إقبال : ماذا أصنع ؟ ... لقد فكرت طويلا فى الأمر ... لى منه غلام ... إنى أتحمل كل شىء من أجل جمال ... ومع ذلك ... (**فى تردد وهى تلتفت إلى مرآة فى الحائط**) ومع ذلك من يتزوج امرأة مثلى الآن ؟ ... (**تتنهد**) امرأة محطمة ! ...

الأم : لا تبخسى من قدرك يا إقبال هانم ، أنت ما زلت جميلة ... ومهما ذبلت الزهرة فإن عبيرها موجود ...

إقبال : (**تطيل النظر فى المرآة وتقول فى مرارة**) كلا ... لقد ذبلنا ... ولقد قلتها ... انتهى كل شىء بالنسبة لى ..

الأم : (تنظر إلى إقبال متفرسة) كم عمرك يا إقبال هانم ؟..

إقبال : (فى تردد) سأبلغ عما قليل الثلاثين ...

الأم : (فى قوة وحماسة) فى ريعان الشباب، علام اليأس إذن ؟

إقبال : (فى مرارة وشك) أتظنين ؟ ...

الأم : أوَترتابين فى ذلك ؟ ... كلا يا إقبال هانم ، لا يجوز لك أن ترتابى ... كل ما فى الأمر أنى ..

إقبال : (تنظر إليها فى اهتمام) تكلمى ... أرجو منك أن تكونى صريحة ...

الأم : إنى فقط أراك اليوم أقل عناية بنفسك مما كنت عندما التقينا يوم وقوع المصاب ...

إقبال : هذا صحيح ...

الأم : يومئذ كنت فى ملبسك ، وفى نضارة وجهك ، كسيدة فى الثلاثين ... أقصد فى العشرين ...

إقبال : (تنظر إلى ملبسها المهمل بعض الشىء) صدقت ... إنى الآن أهمل شأنى أكثر مما ينبغى ، وأبدو لذلك كأن عجوز ! ...

الأم : إن زوجك يكبرك بعشرين عاما ... أليس كذلك ؟ .... وها هو ذا قد عاد إليه شبابه ...

إقبال : (فى تنهد) هذا شىء آخر ...

الأم : لا تقولى هذا .. تزيى كما يفعل وتصنعى ، وأتى بمثل حلاقاته ومساحيقه ...

إقبال : لا أستطيع ...

الأم : وكيف استطاع هو ؟ ...

إقبال : « لست أدرى » وهذا ما يحير عقلى ... لا أستطيع الآن ذلك أنا ... لا أستطيع ...

الأم : ولكنك كنت تعنين بنفسك قبل اليوم ...

إقبال : لست أدرى كذلك ما أقعدنى عن التزين الآن ؟ ...

الأم : صدم نفسك هذا الرجل ...

إقبال : لست أكتمك أن منظره وقد انقلب شاباً فى الثلاثين يملؤنى حسرة ويخيل إلىّ أنى أصبحت أكبر منه سناً ...

الأم : ثم هاته الأوانس والفتيات حوله ، كما تقولين ...

إقبال : نعم ...

الأم : نعم ... إنه لم يعد يلتفت ويعنى إلا بالنساء الأخريات ... نعم ... لقد أدركت الآن ...

إقبال : أتصدقين أن زوجى هذا قد أتى عليه حين ، كان فيه يأبى صبغ شعره ، وكان يطرد الحلاق طرداً ؟ ...

الأم : رأيت شعره الأبيض بعيني نابتاً فى ذقنه بإهمال ...

إقبال : وكنت أزهو أنا فى أجمل أثواب تخرجها الخياطات ...

الأم : بالطبع ...

إقبال : (تتنهد) ما علينا ... إنى مغتبطة حقاً بزيارتك ..

الأم : وأنا كذلك يا إقبال هانم ...

إقبال : حبذا لو التقينا كثيراً ...

الأم : هذا ما أتمناه يا عزيزتى ...

إقبال : أنت الوحيدة التى تستطيعين فهم ما أنا فيه ... وأشعر أن كلامك يعيد إلى بعض الراحة ..

الأم : والثقة أيضاً ... بودى لو أعيد إليك الثقة ...

إقبال : الثقة ؟! ...

الأم : نعم ... بنفسك وشبابك ونضارتك ؛ لاتنهزمى أمامه ... لاتجعليه يكسر نفسك !... إنى ليحزننى حقا يا إقبال هانم أن أراك بهذا المظهر اليائس لغير ما سبب ، تشجعى أمام زوجك الفاجر ، ذكريه بسنك وبسنه ...

إقبال : فعلت كثيراً ... بدون فائدة ...

الأم : بدون فائدة ؟ ...

إقبال : **(تهز رأسها : أن بلى ... ثم بعد لحظة)** بدون فائدة ... هنالك شيء فى الإنسان أقوى من السن ... لقد تبينت الآن وتحققت ...

الأم : ياله من رجل عات ، أما كفاه الذى فعل بابنتى ؟ ... أقسم لك يا إقبال هانم أنى أتألم لك أيضاً كما لو كنت ابنتى ...

إقبال : أحس ذلك وأشكرك من كل قلبى ...

(الوصيفة تعود لأخذ الصينية ....)

الوصيفة : **(وهى تحمل الصينية وتذهب بها)** سيدى الدكتور خرج من الحمام ...

الأم : **(فى تهكم مرير)** نعيما ...

(الوصيفة تخرج ...)

إقبال : **(للأم)** هل لك فى مقابلته ؟ ...

الأم : **(فى استنكار)** أنا ؟ ... وما عسى أن أقول له ؟ ... لا شأن لى به ... لم يكفه أنه السبب فى موت ابنتى فجعل يعبث بذكراها هذا العبث ... كل ما أريد الآن هو أن ينزع صورة ابنتى من عيادته ، وأن يكف عن عرضها لأنظار النساء ... وهذا ما جئت أطلبه منك أنت ...

إقبال : متى أنا ؟ .. وهل لى سلطة خلع هذه الصورة من عيادته ؟ ...

الأم : ألا تستطيعين أن تكلميه فى ذلك ؟ ...

إقبال : لا ... إنه سيسخر منى حتما ...

الأم : وما العمل ؟ ...

إقبال : كلميه أنت ...

الأم : (**تنظر فى ساعتها**) وهل سيكون مستعداً للقائى سريعاً ؟ ... لقد آن وقت انصرافى ... منزلى كما تعلمين بعيد ... والسيارة لاسائق لها حتى الآن ... إنها كانت سيارة ابنتى ... وكانت هى التى تسوقها بعد هرب سائقها ...

إقبال : هرب سائقها ؟! ...

الأم : نعم ...هرب من أجل امرأة ... ومنذ ذلك اليوم لم ترد ابنتى أن تبحث عن سائق غيره ... إنها كانت فخوراً به ، كثيرة التحدث عن صفاته ...

إقبال : أكان شابا ؟! ..

الأم : محمود ؟! ... نعم ... كان شابا وسيما ...

إقبال : كان اسمه « محمود » ؟ ...

الأم : نعم ... وكان فى غاية النشاط والهمة ...

إقبال : تقولين إنه هرب من أجل امرأة ؟! ... والمرحومة عرفت ذلك طبعاً ... ألم يظهر بعد ذلك ؟

الأم : ظهر ... جاءنى بعد انتحارها يبكى ويأسف على تصرفه ...

إقبال : تصرفه ؟ ... ماذا يقصد بذلك ؟ ...

الأم : المجاملة ... ربما ...

إقبال : (**كالهامسة**) ربما كان الأمر أكثر من ذلك ... على كل حال ... أشكرك يا سيدتى ... أشكرك ... بدأت أفهم ...

الأم : أرى وجهك تغير فجأة ! ...

إقبال : (**منتعشة**) إنى سعيدة بمجيئك اليوم ... سعيدة جداً ... فى غاية السعادة ...

الأم : القلوب عند بعضها يا ستى .. أنا أيضاً سعيدة بمعرفتك ...

إقبال : (**كالمخاطبة لنفسها وقد سرت فيها قوة مفاجئة**) أنا السعيدة ... نعم ... سوف يرى هذا الرجل أن لكل شىء حدا ... جاء دورى فى الضحك ... وسأضحك ...وسأضحك وسأنتقم ..

الأم : (**فى دهشة**) ما الذى حدث ؟ ...

إقبال : (**تنهض**) ستعرفين غداً ؛ وستقولين إن إقبال هى إقبال ...

الأم : (**تنهض كذلك**) ما معنى هذا ؟

إقبال : (**تجلسها**) كلا ... ابقى لحظة حتى تستمتعى قليلا بمنظر هذا الشاب ابن الثلاثين ...

الأم : الآن ...

إقبال : نعم ... الآن ؟ ... وسأتركك معه قليلا ...

(إقبال تتجه إلى الباب الزجاجى الرحب فى الصدر وتفتحه قليلا فيكشف عن بهو آخر جميل به محمود على كرسى أمام مرآة كبيرة يحيط به الآنستان ، كل منهمكة فى عملها ....)

الأم : (**إذ ترى محمود على هذه الصورة**) ما شاء الله .. ما شاء الله ...

(محمود مشغول بشأنه لا يلتفت ...)

إقبال : (**تشير إليه وقد أعطى كل آنسة ذراعا**) كأنه . هرون الرشيد بين جواريه ! ...

محمود : (**يسمع ويلتفت إليها**) هرون الرشيد .. أغلقى الباب ... ألا ترين أنى الآن فى ساعة زينتى ؟! ...

إقبال : (**فى تهكم ضعيف**) ساعة مقدسة ! ...

محمود : (**يلتفت إلى الأم**) آه ... أهلا وسهلا ... كيف

حالك يا والدتى ؟ ...

الأم : (تهمس فى استنكار) والدتك ؟ ...

إقبال : (لمحمود) أجّل ما أنت فيه قليلا ... ورحب بالسيدة التى تفضلت بالزيارة ...

محمود : (ينهض وينزع المناشف من عنقه) واجب ! ...

(ثم يدخل البهو الأول بعد أن يشير إلى الآنستين بالانتظار ، وتغلق إقبال الباب الرحب كى تحجب الآنستين ثم تمضى تاركة محمود والأم ...)

(محمود يخطر فى رداء منزلى من الحرير زاهى اللون وهو ذو منظر حسن الهندام ، حليق الذقن ، خفيف الشارب ... غير واضح الشيب والتجاعيد كثيراً ...)

محمود : ما أسعدنا بالزيارة ...

الأم : (وهى تتأمل منظره) إنما جئت لإقبال هانم ...

محمود : (وهو دائما يتكلم بلهجة جديدة تنم عن نفسية جديدة) فقط ؟! ...

الأم : هى وحدها التى يتسع وقتها لى ...

محمود : ووقتى أنا ؟ ...

الأم : (فى تهكم خفى) وقتك أنت ينفق طبعاً فيما هو أحدى وأهم ...

محمود : هذا لا يمنع أن فى الإمكان ... أو فى بعض الأحيان ...

الأم : أشكرك ...

محمود : ما أعجب الزمن ! ... أنت تزورين إقبال ولا تحفلين بى ؟ ...ما الذى غيرك نحوى ؟! ...

الأم : لست أنا التى تغيرت ...

محمود : ولا أنا طبعاً ...

الأم : (فى تهكم) ولا أنت ؟! ..

محمود : ماذا ترين فىّ قد تغير ؟ ...

الأم : (فى تهكم) لاتسألنى أنا هذا السؤال ...

محمود : ومن تريدين أن أسأل ؟ ...

الأم : (تشير إلى مرآة فى البهو) سل المرآة ، فهى تجيب أفصح جواب ...

محمود : (ينظر إلى المرآة) حقاً ، إنى أعنى الآن بأمر الهندام قليلا ...

الأم : (فى سخرية) قليلا ؟! ...

محمود : لست أنكر أنى كنت أهمل شأنى فيما مضى أكثر مما

ينبغى ؛ فكنت أبدو ...

الأم : كلا يا سيدى ليست مسألة إهمال ...

محمود : (**مقاطعا فى امتعاض**) ما علينا ... كم تسرنى زيارتك اليوم ...

الأم : (**فى تهكم لاذع**) حقيقة !! ....

محمود : (**يلحظ التهكم ويرتبك قليلا**) لا سيما بعد ...

الأم : بعد الذى حدث ...

محمود : ما الذى حدث ؟ ..... (**ينظر حوله فى حيرة**) أين إقبال ؟ ...

الأم : سأنتظر وحدى ... ولا حرج أن تمضى أنت لشأنك ... فأنت مشغول فيما أرى ... والآنستان فى الانتظار ..

محمود :(**ينظر إلى الساعة فى معصمه**) أستطيع أن أبقى معك أيضاً نحو ... نصف دقيقة ...

الأم : إنى أرى أن حديثى أصبح يثقل عليك ..

محمود : (**بغير انتباه**) كيف عرفت ذلك ...؟ (**يستدرك ويتنحنح** ....)

الأم : هذا واضح ... ولا يحتاج إلى فراسة كبيرة ...

محمود : (**فى شىء من الارتباك**) عفواً ... يظهر أن شيئاً

يشغل فكرى ...

الأم : لا شك عندى فى أن فكرك مشغول ...

محمود : أتلحظين ذلك ؟ ...

الأم : (**فى نغمة تهكمية ذات مغزى**) لست أنا وحدى ... كل القاهرة تلحظ أنك اليوم مشغول الفكر والبال ..

محمود : (**متخذاً هيئة الجد**) فى أعمال العيادة طبعا ...

الأم : وفى غيرها ..

محمود : (**فى ضيق**) من المحتمل ... (**لنفسه فى صوت خافت**) هذا لا يحتمل ...

الأم : ليس عندك فيما أرى ما تقوله لى ...

محمود : أى نوع من القول تريدين ؟ ...

الأم : لست أنا التى تذكّرك ...

محمود : حسناً تفعلين ... إن من المزايا أن يكون الإنسان ضعيف الذاكرة ...

الأم : أرجو لك يا سيدى حياة طويلة ؛ وليلهمنى الله بعض ما ألهمك من الصبر والنسيان ... لى عندك فقط طلب واحد ...

الطبيب : أنا فى خدمتك ..

الأم : صورة المرحومة لم يعد لها لزوم فى عيادتك ...

الطبيب : ماذا تقصدين ؟ ...

الأم : أقصد أن مكانها الآن ليس هناك ... وأرجوك أن تنزعها من موضعها ...

الطبيب : أنزعها ؟ .. ولكنها جزء من حياتى ! ...

الأم : حياتك الآن ليست فى حاجة إليها ... ولكنى أنا فى حاجة إلى حفظ صورة بنتى المرحومة فى مكان محترم .... ولا تجعلنى أفصح أكثر من ذلك ، واسمح لى أنصرف ...

محمود : أتنصرفين ؟ ... **(يدنو سريعا من أحد الأبواب الصغرى وينادى)** يا إقبال ... يا إقبال ...

إقبال : **(تأتى مسرعة)** أتذهبين هكذا سريعاً ؟ ...

الأم : **(تمد يدها ثم تعانق إقبال مودعة)** نعم ...

محمود : **(ماداً لها يده)** مع السلامة يا تيزة ...

(الأم تحيى محمود بإشارة فاترة سريعة دون أن تنظر إليه وتخرج ....)

إقبال : **(وهى تشيع الأم حتى الباب)** لا تبخلى بالزيارة ... سأزورك قريباً ..

محمود : **(ينظر إلى المرآة ويرتب شعره اللامع)** فلتبخل

بالزيارة ... فلتبخل ... بخلها فى هذا يعتبر من الفضائل ...

إقبال : (**تعود إليه**) أرأيتها ؟ ...

محمود : (**يلتفت إليها**) أتدرين لماذا جاءت هذه العجوز الحيزبون ؟ ...

إقبال : (**ناظرة إليه مليا**) الحيزبون ؟! ...

محمود : أيحزنك أن أقول ذلك ؟ ... لست أدرى والله سر كل هذه الصداقة الجديدة التى تربطكما اليوم ! ... (**إقبال ترمقه بالنظر**) لماذا تنظرين إلىّ هذه النظرة ؟ ..

إقبال : (**فى شبه تهكم**) أتسمى حيزبونا أمّ التى انتحرت من أجلك ؟ ...

محمود : فى الجحيم أمها بعون الله ... ألأن امرأة انتحرت من أجلى أصبح ملزما بسماع سخافات أمها ؟ ...

إقبال : ماذا قالت لك ؟ ...

محمود : إنها تخاطبنى كما لو كانت حماتى .. لقد حمدت الله يوم ماتت أمك ، فإذا حماة أخرى تطلع لى من تحت الأرض ، حاسبة أن لها الحق فى أن تشترينى وتبيعنى وتتصرف فى شئونى الخاصة ...

إقبال : أخبرنى ... ماذا قالت ؟...

محمود : (**يتحرك ذاهبا**) ليس لدىّ الوقت .. (**ينظر إلى الساعة فى معصمه**) ياللْهول !.. من فضلك !.. موعد العيادة ...

إقبال : (**تستوقفه إذ يسرع إلى بهو الحلاقة**) انتظر ... لى معك حديث طويل ..

محمود : لا طويل ولا قصير .. شغلى أهم من كلام حضرتك ..

إقبال : كلمة واحدة إذن ...

محمود : (**ويده على الباب**) مستحيل .. أما يكفيك الوقت الذى ضاع ؟... أى نهار مشئوم أنفق فيه ساعاتى مع العجائز ؟!..

إقبال : وأنا منهن ؟!..

محمود : لست أقول هذا .. بالضبط ..

إقبال : يا لك من فاجر !...

محمود : علام الغضب يا سيدتى العزيزة ؟...

إقبال : لو تعلم كم أنت بغيض إلى نفسى ...

محمود : دلتنى التجارب يا عزيزتى أن المرأة إذا قالت أبغض فإنما تعنى أحب ...

إقبال : قطع لسانك !..

محمود : هذه الكلمة أيضًا ضمن الأدلة والبراهين ؛ إن المرأة لا تتبدل ولا تتغير ..

إقبال : حسبك أنت الذى تتبدل وتتغير ..

محمود : أنت واهمة .. إنى ما تغيرت قط ... إنى دائما هكذا .. كنت أهمل شأنى قليلا فيما مضى .. هذا كل ما فى الأمر ...

إقبال : كل ما فى الأمر .. كلا ... هذا ليس كل ما فى الأمر ...

محمود : ألا تصدقين ؟... شأنك إذن ... إنى لست ملزما أن أقنع الناس كافة وأقيم الدليل للناس كافة !... ومع ذلك لم أصادف قط أحدًا يستغرب الأمر ويسمعنى هذا الكلام البارد غيرك أنت وغير تلك العجوز الخرقاء ...

إقبال : لأن أحدًا غيرنا لا يعلم أنك جاوزت الخمسين ...

محمود : قلت لك لا تلفظى هذه الكلمة ...

إقبال : المخيفة !...

محمود : أين لك العلم بأنى جاوزت الخمسين ؟... وهل قرأت بعينك شهادة ميلادى ؟... إن ورقة ميلادى

مفقودة منذ أمد بعيد ، ولقد بحثت عنها كى أثقب بها عين من يتكلم هذا الكلام ، ولكن من سوء الحظ ...

إقبال : قل من حسن الحظ ...

محمود : كلا ... من سوء الحظ أنى لم أعثر على شهادة ميلادى .

إقبال : إنك مع ذلك لست تجهل عمرك الحقيقى ...

محمود : عمرى الحقيقى نحو ٣٥ ... ٣٨ ... على الأكثر

إقبال : (**تضحك**) المغالطة لاتبلغ بك هذا الحد المضحك ..

محمود : قولى ما شئت .. فليكن عمرى ٣٩ ! ... مبسوطة ! ...

إقبال : أهذا ما تعتقد أمام ضميرك وأمام الله ؟ ...

محمود : لا تدخلى الله والضمير فى مثل هذه الأشياء ، إنى ما اقترفت جريمة من الجرائم ، وما خالفت قانون الله ولا قانون الضمير ...

إقبال : وقانون السن ؟! ..

محمود : قانون ماذا ؟ ...

إقبال : قانون السن والزمن ...

محمود : من المغفل الذى قال إن لمثل هذه الأشياء قانونا ؟ ...

إقبال : هذا المغفل الذى قال ذلك هو أنت ... ولا مؤاخذة ..

محمود : أنا ؟ ...

إقبال : ألا تذكر المحاضرة التى كنت ستلقيها ؟ ...

محمود : أعترف أن العناية السماوية قد أنقذت سمعتى العلمية فى الوقت المناسب ، وحالت دون إلقاء تلك السخافة التى كنت أسميها محاضرة ..

إقبال : يا للعجب ، أشهد الله أن كل هذا عجيب ...

محمود : أشهدى الله كما يحلو لك ، لكن اعتقى رقبتى الآن ولك الأجر والثواب .

إقبال : (**تستوقفه إذ يتحرك ذاهبا**) ابق هنيهة أخرى ...

محمود : لا أستطيع ... المرضى ينتظرون فى العيادة ...

إقبال : المرضى(**تضحك ساخرة**) ...

محمود : بلا شك .. ومن ذا ينتظر الطبيب غير المرضى ؟ ..

إقبال : كل هذه الأناقة ، وكل هذا التزين والتصنع والأصباغ والعطور والمساحيق من أجل المرضى ؟ ...

محمود : إنى طبيب رقيق الحاشية أحب أن أدخل السرور إلى قلوب مرضاى ، وكلما كان الطبيب حسن المظهر والمنظر كان تأثيره فى الشفاء أشد وأفعل ...

إقبال : هذا قانون جديد ...

محمود : بلا شك ... (**يتحرك**) باى باى ! ...

إقبال : قلت لك ابق هنيهة ...

محمود : أريد أن أخاطب سالم الممرض فى العيادة ...

إقبال : أخبره أنك قد تتأخر قليلا ...

محمود : (**يتناول السماعة**) ألو .. ألو ... ٥٠٢٥٠ ، متشكر يا روحى وعقلى ...

إقبال : روحك وعقلك ؟! ...

محمود : (**يغمز بعين**) تلك عاملة التليفون ...

(**إقبال تهز رأسها وتكظم ...**)

محمود : (**فى التليفون**) ألو ... العيادة ، سالم ... هل عندك أحد ؟ ... (**ثم يخفض من صوته قليلا حذراً من إقبال**) افهم غرضى يا مغفل ... من ؟ ... آه تذكرت ، فلتنتظر (**يستدرك**) أقصد فلينتظر ... نعم سآتى بعد نصف ساعة على الأكثر .

إقبال : (**وهي ناظرة إليه حتى يضع السماعة**) من التى تنتظرك ؟ ...

محمود : (**وهو يتخايل بهندامه فى المرآة**) مريضة شاحبة الوجه ...

إقبال : (**تتنهد**) لابد أن تكون مريضة بالقلب ... كلهن كذلك الآن ...

(**تنظر إليه نظرة طويلة** ....)

محمود : (**يلتفت إليها**) لماذا ترمقيننى هكذا ؟ ...

إقبال : (**بعد صمت كالمخاطبة نفسها**) إلهى .. إلهى ... أكل هذا لأن امرأة انتحرت من أجله ؟ ...

محمود : (**باسماً**) هذا ليس بالشىء القليل ...

(**يتحرك للذهاب** ....)

إقبال : محمود ... زوجى العزيز ! ...

محمود : ماذا تريدين ؟ ...

إقبال : أريد أن أسألك سؤالا ...

محمود : إذا كان سؤالا مهما فأسرعى ... إنك تعلمين أن وقتى ضيق محدود ..

إقبال : نعم ... سؤال غاية فى الأهمية ...

محمود : أسرعى إذن ...

إقبال : هل تحبنى ؟ ...

محمود : أهذا هو السؤال المهم ؟ ... آه ... يا للنساء ... يا للنساء ! ...

إقبال : إنى جادة يا محمود ... أريد الساعة أن أعلم منزلتى عندك ... أخبرنى أى مكان لى الآن فى هذا الزحام الذى يكتنفك من كل جانب ، ولا يكاد يعرف له أول من آخر ؟ ...

محمود : (**ضاحكا**) الزحام ! ...

إقبال : أتعجبك الكلمة ؟ ... نعم ... أخبرنى ، أين هو مكانى ؟ ... إن بى رغبة فى معرفة ...

محمود : مكانك فى الزحام (**يلفظ ضحكة ضعيفة**) موضوع ننظر فيه إن شاء الله عندما نخرج من الزحام ... (**يتحرك**) إلى الملتقى ... باى باى ! ...

إقبال : محمود .. انتظر ...

محمود : (**فى شىء من الغضب**) كلا ... لن أنتظر ... لست أسمح لك بكل هذا الوقت ... إنك لا تستحقين منى كل هذا الوقت ... لقد بدأتِ تحرجين صدرى ...

إقبال : وإذا كنت أحبك يا محمود ... (**محمود يهز كتفيه ، فتقول فى رجاء**) : لا تهز كتفيك ..

محمود : حتى أنت ... واعجباه ... حقاً إنه لزحام ... إن البيت هنا آوى إليه للراحة والاستجمام لا لسماع كلمات الحب والغرام ! ...

إقبال : يالك من فاجر ..

محمود : ما الذى جعلك تنطقين هذه الكلمات اليوم ؟ ...

إقبال : لست أدرى ...

محمود : ومنذ عام مضى كنت أقول لك أحبك فتقولين احتشم فأنت كهل ...

إقبال : أنت لست كهلا ...

محمود : أعلم ذلك ... ولست فى حاجة إلى مثلك كى يخبرنى به ...

إقبال : نعم.. لست فى حاجة إلى مثلى الآن .. ولكنك مخطىء يا محمود.. لأنى أحبك حقيقة الآن حباً جديداً لا علاقة له بالماضى.. إنى لم أعد

زوجتك فحسب ، بل امرأة تحبك ...

محمود : عجباً ... عجباً ... كل النساء يقلن الآن هكذا ... لقد انقلبت كل واحدة منكن جولييت ... حتى أنت المزهوة المتكبرة ... انظرى إلى ماذا صرت ...

إقبال : لا تهزأ بى ... إنى أشد حباً لك من أية امرأة ... لأنى لست أحبك لغاية ... ولست أعجب بك لأن امرأة انتحرت أو لم تنتحر من أجلك ... ولا لأنك أصبحت جميل المنظر قوى الثقة والإيمان بنفسك ... فلتعد كهلا تجد إحساسى نحوك كما هو ، لم يتغير ...

محمود : (فى رعب) كلا ... كلا ... لست أريد أن أعود كهلا من أجل سواد عينيك ...

إقبال : كذلك أنا أشد تألما من أية امرأة ... لأنى دانية منك وأنت لاه عنى ... وكأنما أراك تعتبرنى شيئاً قديماً متعلقاً بالماضى ولا صلة له بالحاضر ... إنك تقصينى فى قسوة عن حاضرك السعيد ؛ كأنى أكبرك بعشرين عاماً ، وأن زمانى فات ولم يعد يصلح لزمانك ...

محمود : لقد قلت الحقيقة ...

إقبال : هذا فظيع ما تتفوه به يا محمود ... أتراني كذلك حقاً ؟ ...

محمود : أتريدين الصراحة ؟ .. نعم ... إن وجودك يذكرني بالهرم ومرآك وحديثك وقربك ينسج حولي جوا باردا مفعما برائحة الشيخوخة ...

إقبال : إنك قاس يا محمود ...

محمود : (**ينظر إلى الساعة فى معصمه**) لا أستطيع أن أصغي إليك أكثر من ذلك .

إقبال : إنك لا تتصور فظاعة ما تقول ...

محمود : (**يتململ**) كفى ؟ ... لقد مللت .. دعيني أغير الجو ... أف ! ..

(**يتحرك نحو الباب** ....)

إقبال : وأنا التى أشفق أن أفضى إليك بما يؤلم نفسك ، وأتردد وأحجم عن إيذائك ، مع أنى أملك .. وفى يدى اليوم القنبلة التى تحطم هذا الشباب الزائف ...

محمود : كفى أيتها الحيزبون ...

إقبال : (**ترتعد**) ماذا تقول ؟ ... (**محمود يهز كتفيه**

ويمضى إلى الباب المؤدى إلى بهو الحلاقة) أنا حيزبون؟..(**محمود على وشك فتح الباب ، فترفع إقبال رأسها وتصيح به منفجرة**) انتظر .. انتظر ... أيها المغفل الواهم والشيخ المتصابى ، اسمع ما أقول ، ولن أحجم الآن عن الكلام ...

محمود : (**يلتفت فى تقطيب القلق**) تقولين ماذا ؟ ...

إقبال : إن الفتاة لم تنتحر من أجلك ...

محمود : آأنت مجنونة ؟ ...

إقبال : إن زيزى انتحرت من أجل محمود سائق سيارتها ...

محمود : (**فى رعدة**) سائق سيارتها ؟ ...

إقبال : هذه هى الحقيقة ...

محمود : إقبال ...

إقبال : ماذا دهاك ؟ ...

محمود : مزاح سخيف ! ...

إقبال : أرأيت كيف فعل بك الخبر ؟ ... كلا ... من سوء حظك لست أمزح ...

محمود : (**فى صوت متغير**) من قال لك هذا الهراء ؟ ...

إقبال : سائق سيارتها شاب ... شاب حقيقى ، شاب وسيم اسمه محمود ، وكانت تهتم به ، تحبه بلا

شك ... ولكنه هرب مع امرأة أخرى ... فلم تستطع احتمال الصدمة وقررت الانتحار ...

محمود : (**مطرق**) من أخبرك بهذا ؟ ...

إقبال : أمها الساعة ...

محمود : (**يرفع رأسه مضطربا**) آه ... أمها العجوز المخرفة ... طبيعى ...

إقبال : نعم طبيعى جداً أن فتاة جميلة تنتحر من أجل شاب جميل ، لا أن تنتحر من أجل كهل أشيب ؟! ...

محمود : (**يجلس ويفكر مطرقا**) تريدين أن أصدق ذلك ؟ ...

إقبال : لا أرغمك على أن تصدق الشيء المعقول ، وهو أنها انتحرت من أجل محمود الشاب ؛ سائق سيارتها الذى يلازمها فى أكثر أوقاتها ..

محمود : (**يرفع رأسه**) ولماذا كانت تأتى إلى تحدثنى عن حبها لى ؟ ...

إقبال : أرادت ولا شك الانتقام لكبريائها المجروحة ... أرادت أن تخون حبيبها الذى خانها ، بأسرع وقت وبأسهل طريقة لم تجد أسهل منك ، فهى تأتى إلى عيادتك كل يوم ...

محمود : كل كلماتها الرقيقة كانت كاذبة . وكل دموعها الحارة التى ذرفتها أمامى كانت ؟ ...

إقبال : كانت لمحمود الآخر ...

محمود : (**غير متمالك**) اخرسى ! ...

إقبال : (**فى تشف**) كانت تحبه ... كان أول حب لها ، ولكنه طعنها فى حبها ... إنها تحبه دائماً ... وأرادت أن تموت بعد أن علمت أنه يحب غيرها ، ولكن شعور المرأة المجروحة ثار ... ففكرت ، ورأت أن تشعره بأنها انتحرت من أجل شخص آخر ... شخص له اسمه واحترامه فى المجتمع ... إنها ذكية تلك الفتاة ... وفت لحبها العظيم بالموت فى سبيله ... وانتقمت من حبيبها الخائن بإيهامه بأنها لم تنتحر من أجله ... ولعلها سارت معه إلى حد بعيد فغرر بها وبعفافها ، وخافت من الافتضاح ، وأرادت ستر أمرها بالزواج منك ، فلما يئست انتحرت ...

محمود : قصة بارعة من نسج خيالك ... قصة من صنع خيالك المريض ...

إقبال : هذه القصة كما تسميها أقرب إلى الحقيقة من

أوهامك ، بل إنها هى الحقيقة المستترة ، التى قد تنكشف لك ناصعة لو أنك بحثت فى أعماق نفسك ...

محمود : خاب فألك أيتها المرأة .. إن كنت قد ظننت أنك بهذا الإفك تلقين فى صدرى بذور الشك فإنك قد فشلت فشلا ذريعا ...

إقبال : (ضاحكة منتصرة) إنى لم أنتصر فى حياتى مثل انتصارى الآن ... حسبى وجهك الشاحب ، وهذا الاضطراب فى عينيك وشفتيك ، كل شىء فيك الساعة يصيح ويصرخ بأن الحقيقة قد وضحت أخيراً لعينيك الغافلتين ...

محمود :لست من السذاجة حتى أصدق هراء امرأة مثلك ..

إقبال : وأنا أقسم إنك فى قرارة نفسك قد بدأت تصدق !...

محمود : (فى غيظ مكلوم) خسئت ! ...

إقبال : (فى انتصار) تستطيع الآن أن تنصرف إلى مواعيدك إذا شئت ، أكمل لبس ثيابك وزينتك ، واذهب فقابل من أردت أن تقابل إذا استطعت ... إنك تشعر الآن فى أعماق نفسك بأنك بنيت بناء شامخاً على مجرد وهم وأن فتاة مخبولة قد هزأت بك

وخدعتك وجعلتك أضحوكة فى آخر حياتك ...
إنى حقاً أخذت من وقتك أكثر مما أستحق ... إنك
ولا شك قد نسيت المنتظرات المريضات بقلوبهن فى
العيادة ... ترى ماذا هنّ صانعات وقد شيدن
آمالهن فيك وإعجابهن بك على مجرد وهم ؟! ...
ما كل هذا الوجوم أيها الشاب ! ... هلم إلى
الزحام الذى ينتظر ... ليس لى أن أبقيك أكثر من
ذلك ...

(تتحرك وترفع يدها بتحية ساخرة فى الهواء ...)

أورفوار ! ... باى باى ...

محمود : **(ينهض فجأة)** إفك وزور ... كذب واختلاق ! ... **(يدنو من إقبال ويمسك بذراعها)** أتسمعين ؟ ... هذا كذب واختلاق ..

إقبال : **(فى ألم)** دع ذراعى ! ...

محمود : **(يهزها هزاً عنيفاً)** إنك امرأة فاسدة النفس مريضة القلب ... موتورة ! ...

إقبال : **(فى ألم)** دعنى يا محمود ... أجننت ؟ ...

محمود : من ذا يصدق هذا الهراء ؟ .. لن أصدق هـذا الهراء ... لن أصدق ... لن أصدق ...

إقبال : دعنى ... اتركنى ... أظافرك تدمى جسدى ..

محمود : **(يقـــذف بها إلى الأرض)** مـــــزورة ! ... ملفقة ! ... ساقطة ! ...

(تقع إقبال على الأرض صارخة ...)

الفصل الرابع

(عيادة الدكتور محمود عزمي كما ظهرت فى الفصل الأول ، غير أن الحجرة قد لبست حلة من الأناقة تجعلها أقرب إلى حجرة مواعيد غرامية منها إلى حجرة طبيب . وفى صدر المكان ترى صورة كبيرة لعزيزة ...)

* * *

(تدخل من أحد الأبواب سيدة على شىء من الأناقة والملاحة وهى تسرع وتقتحم المكان ويتبعها سالم الممرض كمن يريد أن يحول بينها وبين الحجرة ....)

سالم : (وقد تأنق هو الآخر فى ردائه الأبيض) إن الله مع الصابرين ...

السيدة : إنى صبرت ساعة من الزمن ، أهذه حجرته الخاصة ؟ ...

سالم : الدخول هنا ممنوع أثناء غيبته ...

السيدة : سأنتظره هنا ..

سالم : أرجو أن تنتظرى فى حجرة الانتظار مع بقية السيدات ...

السيدة : إنى لست مثل الأخريات ، سأنتظره هنا وحدى ، برغم أنفك الدميم ...

سالم : أنفى الدميم ؟ ...

السيدة : طبعاً ... أوَ تحسب لك أنفاً أحسن من الأنف الرومانى ؟ ...

سالم : ولماذا لا يكون أنفى أحسن من الأنف الرومى ، حتى الأنوف فيها بلدى ورومى ...

السيدة : (**تضحك ثم تخطر فى الحجرة تتأملها**) ما أجمل هذه الحجرة !.

سالم : يا سيدتى أرجو أن تنتظرى فى حجرة الانتظار ..

السيدة : سأنتظره هنا حتى يحضر ..

سالم : إنه لن يحضر اليوم ...

السيدة : وإذا أقسمت لك إنه سيحضر ؟ ...

سالم : لن يحضر ...

السيدة : عندى دواء من تعاطاه قال الصدق ، (**تخرج من**

محفظتها ورقة مالية ذات جنيه)هذه الورقة ...

سالم : (صائحاً) سيدتى ...

السيدة : هذا لك .. قل لى الآن ، أيحضر اليوم كما أقسمت لك ؟ ...

سالم : (فى لهفة) وهل يحنث قسمك يا سيدتى ؟ ... سبحان الله ... إنك صادقة مثل الجنيه المصرى ...

السيدة : (أمام صورة « عزيزة » تتأملها) أهذه صورتها ؟ ...

سالم : نعم يا سيدتى ...

السيدة : (تتأملها) فمها متسع بعض الاتساع ...

سالم : حقيقة ... ملحوظة فى محلها ...

السيدة : وأنفها لا يعجبنى ...

سالم : نعم ... أنفها غير رومى ! ...

(يسمع صوت الباب يفتح ....)

السيدة : (تلتفت) من ... أهو القادم ؟ ...

سالم : (متوسلا) أتريدين أن أكون طوع أمرك ؟ ... أرجو من سيدتى أن تنتظر هنيهة فى الحجرة الأخرى حتى أذكرك له وأمهد الأمر ...

السيدة : إنى أثق بك ...

سالم : نعم ... ثقى بخادمك كل الثقة ...

(يقودها إلى الباب الذى دخلت منه فتخرج ويغلق الباب خلفها ... يدخل الدكتور محمود من باب آخر)

(محمود متغير الوجه يجلس إلى مكتبه ويطرق فى صمت)

سالم : **(يدنو منه)** سيدى الدكتور ...

محمود : **(بدون أن يرفع رأسه)** ماذا تريد ؟ ...

سالم : **(فى اهتمام)** السيدة حرم ...

محمود : **(مقاطعا)** لن أقابل أحداً ...

سالم : **(فى شبه همس واحتجاج)** إنها حضرت لأول مرة ، كى ...

محمود : **(فى شدة)** قلت لك لن أقابل أحداً ..

سالم : **(فى دهشة وحيرة)** عجباً ... لن تقابل أحداً ! ... وماذا أقول لها ؟! ...

محمود : إنى منحرف الصحة ...

سالم : **(فى تردد)** ألها وحدها أم ...

محمود : للجميع ...

سالم : **(فى دهشة)** جميع السيدات ؟! .. **(محمود**

مطرق لا يتحرك)ما الذى جرى ؟ ...

محمود : أغلق الباب ولا تفتح لأحد ..

سالم : أنعود إلى غلق الباب ؟

محمود : (**منتهراً فى شدة**) قلت لك أغلق الباب .

سالم : أمرنا إلى الله .. سنغلق باب رزقنا بأيدينا ...

محمود : اتركنى وحدى ...

سالم : (**يمضى وهو يخاطب نفسه**) أترى مضت أيام العز ؟ ... (**يخرج ثم يعود كمن تذكر شيئاً** ...) وإذا سألن متى يستطعن المقابلة ؟ ...

محمود : لن أرى أحداً اليوم ...

سالم : اليوم فقط ؟ ..

محمود : (**يضع كفه على جبينه**) اليوم أريد الوحدة والهدوء التام ... سمعت ؟ ...

سالم : (**ناظراً إليه**) سيدى يبدو عليه حقيقة ...

محمود : أعطنى زجاجة الإثير ...

(سالم يشير برأسه علامة الطاعة ويخرج ، ويلبث محمود كما هو ... ثم يرفع رأسه فجأة بعد إطراق وينهض محاولا استعادة النشاط ، لكنه يتجه إلى مكتبه ويجلس إليه ويضع رأسه بين كفيه كمن

ينام ، لكنه لا يستطيع ، ويرفع رأسه ويحدق ملياً في صورة عزيزة ...)

سالم : **(يدخل بزجاجة صغيرة في يده)** زجاجة الإثير يا سيدى ...

(سالم يخرج مسرعا .. الباب يطرق ... محمود لا يتحرك لكن أصابعه تعبث بزجاجة الإثير دون أن يستعملها ....)

إقبال : **(من الخارج)** ماذا يفعل سيدك ؟ ...

(ثم تدخل فإذا هي في ثياب أنيقة وفي رشاقة تذكر بمظهرها في الفصل الأول ... وقد بدت عليها النضارة والنشاط والابتهاج . محمود لا يلتفت إلى إقبال ولا ينقطع عن العبث بالزجاجة ....)

إقبال : **(وقد اتخذ صوتها وحركاتها مظاهر جديدة)** ليلتك سعيدة يا ... يا دكتور ؟! ...

(محمود يرفع رأسه إليها ولا يجيب ...)

(في ابتسام) ألا ترد التحية بأحسن منها يا دكتور ؟ ...

(محمود ينظر إليها ولا يجيب ...)

لماذا تنظر إلىّ من قمة رأسى إلى كعب حذائى ؟ ...

محمود : (**فى صوت أجش**) ماذا جئت تصنعين هنا ؟ ...

إقبال : مررت ببابك فى طريقى إلى الخياطة فقلت أصعد لأطمئن على صحتك ...

محمود : الخياطة ؟ ...

إقبال : (**فى ابتسامة خبث وهى تخلع من يديها قفازاً أنيقاً**) طبعاً يا عزيزى ...

(**محمود يعود إلى الإطراق والعبث بالزجاجة وتنظر إقبال فى مرآة كبيرة بالجدار فى خيلاء وهى تصفر بفمها بأنغام أغنية مرحة**)

محمود : (**يرفع رأسه إليها فى ضيق**) ماذا جرى لك اليوم ؟ ..

إقبال : (**دون أن تترك المرآة**) لا شىء ... إنى دائماً كذلك ...

محمود : دائماً كذلك ؟ ...

إقبال : ماذا ترى فىَّ قد تغير ؟ .. (**محمود ينظر إليها فى كمد ولا يجيب**) كنت أهمل شأنى قليلا فيما مضى ... هذا كل ما فى الأمر ..

(**محمود لا يجيب ..**)

إقبال : نعم ... قاتل الله الوهم ...

محمود : **(من بين أسنانه)** أى وهم ؟ ...

إقبال : كنت أتوهم أنى عجوز ، وكنت تتوهم أنت أنك شاب ! ...

محمود : كنت أتوهم ؟ ...

إقبال : طبعاً ... لكن كل شيء لا يلبث أن يرجع إلى أصله ، وها أنت فى أربع وعشرين ساعة قد عادت إليك شيخوختك المبجلة ! ...

محمود : كفى ..

إقبال : ها هى المرآة ، خذ وانظر فيها ...

(تفتح حقيبة اليد التى تحملها وتخرج مرآة صغيرة تدفعها إليه فيأخذها ويلقى بها وسط الحجرة فى غيظ ...)

وما ذنب المرآة تحطمها ؟ ...

محمود : لدىّ عمل يا سيدتى ... لدىّ أعمال ... لا أستطيع أن أنفق الوقت فى هذا الكلام الفارغ ...

إقبال : خير لك أن تستريح من عناء الأعمال ... إنك مريض ...

محمود : إنى فى أحسن حال ..

إقبال : ظاهر على وجهك الشاحب وجفونك الحمراء ...

محمود : حمراء أو خضراء ، ليس شأنك .. إنى فى خير حال ..

إقبال : أراهن أنه ماغمض لك جفن الليلة الماضية ...

محمود : من قال لك ذلك ؟ ... لقد نمت ملء جفونى ...

إقبال : ياللمكابرة ...

محمود : اذهبى لشأنك يا سيدتى ... ماذا يهمك من أمرى ؟ ..

إقبال : صدقت ... ليس يهمنى الآن من أمرك شىء ...

(تسير فى الغرفة .. تصفر بفمها فى غير اكتراث فترى صورة عزيزة فتلتفت إلى محمود المطرق ...)

عجباً ... هذه الصورة ما زالت هنا !! ..

محمود : **(دون أن يتحرك)** لا شأن لك بها ...

إقبال : إنك تحسن صنعاً لو بحثت عن محمود السائق وأهديتها إليه ...

محمود : سأفعل ...

إقبال : إنه هو وحده صاحب الحق ولا ريب ...

محمود : فليكن ...

إقبال : نعم .. وهذه الفرش والرياش والوسائد الجديرة بو كر للمواعيد لا بعيادة طبيب ! ... آن الأوان أن تزيل كل هذه الأساليب ، فلقد طالت المهزلة ! ...

محمود : لا تريدين أن تسكتى ؟ ..

إقبال : أعترف أنى أخشى تهديدك ، فلقد كنت قاسياً علىّ بالأمس ... انظر ... تلك أظافرك التى أنشبتها فى عنقى ...

(محمود لا يتحرك ولا ينظر إليها ..)

ولكنك معذور .. إنك فى تلك اللحظة إنما كنت تذود عن كل شبابك الذاهب ...

محمود : إنك تفترين كذبا ... ولن أصدق هذا الافتراء ...

إقبال : لن تصدق ؟ ...

محمود : لا ... لن أصدق ...

إقبال : إنك تصدق من أعماق نفسك ؛ ولو لم تصدق لما بدا عليك كل هذا التغير فى أربع وعشرين ساعة ...

محمود : (**فى غير اقتناع**) أنت مخطئة ... إنى لم أتغير ...

إقبال : نبرات صوتك وحدها دليل قاطع ...

محمود : (لا يتمالك ويصرخ) اخرسى ... إنى سئمت و لم أعد أتحمل هذه الحماقات ...

إقبال : هذه الحماقات ... هذا صحيح ... هدئ روعك إذن ...

محمود : إنى هادئ الروع على الرغم منك أيتها المرأة ..

إقبال : ابتسم إذن واضحك وابتهج كما كنت تفعل بالأمس فى الحمام ...

محمود : لست أمتثل لأمر أحد ...

إقبال : (**تصفر وتغنى**) ألا تريد أن تبتهج هكذا ؟ ...

(**محمود يرمقها فى غيظ مكتوم** ...)

إقبال : شأنك إذن (**تنظر مرحة إلى المرآة فى خيلاء**) أما أنا فإنى مبتهجة ...

محمود : (**يرمقها شزراً فى صمت ، ثم يقول**) وعلام كل هذا الابتهاج اليوم ؟ ...

إقبال : (**تستدير إليه**) وأنت علام كل هذا الحزن اليوم ؟ ...

محمود : من قال لك إنى حزين ؟ ...

إقبال : أنت حزين حزن من عثر على ورقة ميلاده المفقودة ...

(تضحك عالياً ...)

محمود : **(يكظم غيظه ساداً أذنيه)** لا تضحكى هـذه الضحكة فى مقر عملى ...

إقبال : مقر عملك مقفر اليوم ... حقاً هذا عجيب ... أين المرضى ! ... أين الزحام ؟ ... آه ... ذهبت الأوهام ... تبددت الأحلام ! ...

محمود : هذه أمور تعنينى وحدى ...

إقبال : **(ساخرة)** بالطبع **(تنظر إلى الساعة فى معصمها ساخرة)** ...

(جرس التليفون يدق فوق المكتب ...)

محمود : **(يرفع السماعة)** ألو ... ليس هنا ... لا .. ليس هنا ..

(يضع السماعة فى الحال ...)

إقبال : **(فى تهكم)** لماذا الكذب ؟ ...

محمود : **(فى صوت تعب)** اسكتى ... ألا تريدين أن تسكتى ؟ ...

إقبال : **(ناظرة إلى وجهه)** إنك فى غاية التعب ...

محمود : **(فى تسليم مرغماً)** نعم ... أريد قليلا من الراحة ...

إقبال : هذا ما نصحت لك به الساعة ...

محمود : ينبغى أن أنقطع عن العيادة ..

إقبال : (فى خبث) نعم ... بعض الوقت .. وتحتجب عن أعين الجميع ...

محمود : (يرفع رأسه) ماذا تقصدين ؟ ...

إقبال : ومع ذلك ليس هنالك ما يدعو فى رأيى إلى ذلك ... إن الجميع ما زالوا يعتقدون أن الفقيدة انتحرت من أجلك ، ومن الذى يكشف لهم عن الحقيقة ؟ ... من جهتى أنا يمكنك أن تطمئن ...

محمود : أرجو أن تكفى عن هذا الأسلوب الهازئ ...

إقبال : إنى جادة كل الجد فيما أقول ... إنى أرى فى استطاعتك أن تستمر فى إيهام الناس ، ولا تخش شيئاً ، فإنى أصمت كالقبر ...

محمود : (ينظر إليها) ...

إقبال : لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟ ... ألا ترانى جادة فيما أقول ؟ ...

محمود : (ناظراً إليها شزراً) أستمر فى إيهام الناس ؟ ...

إقبال : ألا تستطيع أن توهم الناس ؟ ...

محمود : كفاية ! ...

إقبال : نعم ... فهمت ... صدقت ... الحق معك ...

محمود : ماذا فهمت ؟ ...

إقبال : فهمت أنك أنت الذى فى حاجة إلى هذا الوهم قبل كل الناس ... فى حاجة إلى تلك الثقة بنفسك أولا ، ولكن أين لك ذلك الآن أيها المسكين ؟ ... لقد كان حلماً جميلا لبث بضعة شهور ثم تكشّف عن الحقيقة المحزنة ...

محمود : قلت لك كفاية هذا الكلام الفارغ ! ...

إقبال : هذا الكلام الفارغ أنت تعرف أنه هو الحقيقة ....

محمود : لن أصدق حتى أرى بعينى محمود هذا ...

إقبال : محمود الآخر ؟ ... سائق سيارتها ؟ ...

محمود : وأخاطبه بنفسى ...

إقبال : وتخاطبه ؟ ...

محمود : نعم ... حتى أرى بعينى الحقيقة ! ...

إقبال : إنك تعذب نفسك بهذا الأمل الخادع ...

محمود : من قال لك إنى آمل فى شىء ...

إقبال : فقدت كل أمل ... إذن أنت تصدق ... فأى معنى إذن لبحثك عن محمود الآخر ؟ ...

محمود : مجرد حب استطلاع ... لا غير ...

إقبال : وفر على نفسك مؤونة حب الاستطلاع هذا ، فإن اليأس إحدى الراحتين .. إنى أنصح لك بمغادرة القاهرة زمناً والذهاب إلى عزبتك بالريف ... إن من فى سنك يفيده كثيراً الهواء النقى ، ويجدد قواه الهدوء وعيش المزارع ...

محمود : من فى سنى ؟! ...

إقبال : (**وهى تخطر أمام « المرأة »**) بلا شك .. من فى سنك طبعاً ..

محمود : وأنت ؟ ...

إقبال : (**تلتفت إليه سريعاً**) وأنا ... ماذا تعنى ؟ ...

محمود : ألا تذهبين معى ؟

إقبال : (**تعود إلى المرآة وتخرج من حقيبتها علبة بمسحوق أبيض تطلى نحرها مكان أظافر محمود**) لا ...

محمود : أأذهب وحدى ؟ ...

إقبال : أتريد أن أترك خياطتى وأذهب مع رجل ؟ ...

محمود : مع رجل مسن .. قوليها ... قوليها ..

إقبال : لا أستطيع أن أقبر نفسى فى الريف قبل الأوان ...

محمود : تقبرين نفسك معى ؟ ...

إقبال : أنت تعلم أنى ما زلت فى مقتبل العمر ... ولو

كانت فى رأسك ذرة من عقل لأيقنت أن من المستحيل على امرأة فى مقتبل العمر أن تنغص راحتها مختارة خمس دقائق من أجل مثلك ... لكنك أعمى لا ترى نفسك ... ومغفل استطاعت فتاة أن تلعب بك فى الحياة وبعد الموت ... نعم ... انظر إلى أى حد استطاع ميت أن يلعب بحىّ ... لعبت بك ... وجعلت نساء البلد يلعبن بك ... كل هؤلاء النساء إنما يأتين لمشاهدتك طبعاً كما يذهب الإنسان إلى حديقة الحيوانات لمشاهدة مخلوق غريب ...

محمود : أشكرك ...

إقبال : لست أقصد إهانتك ، إنما أقصد فقط أن أنبهك إلى الحقيقة ... وهى أنك رجل قد فنى وانتهى ، وينبغى لعينيك أن تسدد جهة القبر ... انظر إلى وجهك ذى التجاعيد ... أى امرأة تسر لمنظرك وهى صادقة مخلصة فى هذا السرور ؟ ...

محمود : أى امرأة ؟ ...

إقبال : طبعاً .. ما من امرأة على هذه الأرض ...

محمود : حتى أنت ؟! ...

إقبال : نعم ... حتى أنا ... ما دمت تريد منى الصدق

والصراحة ... فإنى أقول لك أنا ككل امرأة ، لا يمكن أن أرى فيك غير شيخ مفروغ منه ... لأنى لا أستطيع أن أنكر الواقع ... ومن الحقائق مالا يملك إنسان جاد إنكارها أو معارضتها ... وكذبت امرأة قالت فيك غير ذلك ...

محمود : حتى أنت ؟ ...

إقبال : قلت لك إنى امرأة ككل النساء ...

محمود : أنسيت ما أفضيت به إلىّ أمس ؟ ...

إقبال : كنت أخدعك بالألفاظ كما خدعتك باقى النساء .

محمود : (فى مرارة) حتى أنت تخدعين ؟ ...

إقبال : إنى لست معصومة ...

محمود : أوَلا يحس قلبك بحب لى إذن ؟ ...

إقبال : حب لك ... إنك تطلب إلى المرأة المستحيل ...

محمود : أنت تقولين هذا يا إقبال ؟ ...

إقبال : إنى صريحة مع الأسف ... إنى لأعجب كيف يفكر فى الحب من فى سنك ..

محمود : (يطرق) تريدين أن أصدق أنى انتهيت ؟ ...

إقبال : أعجب لماذا تريد أن أحبك اليوم ، إلا أن تكون كالغريق تريد أن تعتمد على أى قلب ... ولكن

حتى هذا القلب الواحد الذى بقى لك فى أفق الأمل
إن فتحته فلن تجد فيه غير رماد بارد ، ولن يقوى
مثلك اليوم على نفخ النار فيه ...

محمود : (**فى تعب وقنوط**) أشكرك يا إقبال ...

إقبال : (**وهى تتحرك للانصراف**) ألا ترى معى أن
الكلام معك فى الحب موضوع مضحك ؟! ..

محمود : مضحك ؟! ...

إقبال : مضحك للغاية ! ... ألا ترى ذلك ؟ ... (**تنظر
فى معصمها**) الساعة الآن السادسة ... ينبغى لى
أن أنصرف إلى ما هو أهم ... خياطتى تنتظر ...
(**تحمل حقيبة يدها تحت إبطها وترتب هندامها
أمام المرآة .**)
(**تتحرك كى تنصرف . وقت خروجها تلتفت
إلى الصورة**)
لا تنس إعطاء الصورة لصاحبها الحقيقى ... إلا إذا
كنت لم تشبع من ابتسامتها الساحرة بك ...
أورفوار ...
(**تضحك ضحكة كبيرة وتخرج بعد أن تحيى ..
محمود فى حركة مزاح ومرح ....**)

محمود : (**بلا حراك**) ؟ ...

سالم : (**يدخل بعد لحظة من خروج إقبال من العيادة**)
سيدى الدكتور ! ... الحلاق حضر ...

محمود : (**بدون أن يلتفت إليه**) اذهب عنى ... اذهب
عنى ! ...

(**يختفى سالم وهو قلق مندهش ، ثم يظهر رأس
سيدة يطل من الباب الآخر ...**)

السيدة : (**يشجعها وجود الدكتور وحده فتدخل بغير
إذن**) أنت وحدك يا دكتور ؟ ... أتسمح ؟ ...

محمود : (**يرفع رأسه ناظراً إليها**) من أنت ؟ ...

السيدة : معجبة ... أقصد مريضة ! ..

محمود : تقولين معجبة ! ...

السيدة : بمهارتك الطبية طبعاً ...

محمود : آه ... مهارتى الطبية ! ...

السيدة : أنا ... متأسفة ...

محمود : جئت اليوم هنا لأول مرة فيما أظن ...

السيدة : (**وهى تنظر إليه ملياً كمن تفحصه**) نعم ... أول
مرة ...

محمود : لماذا تنظرين إلىّ هكذا ؟ ... تريدين أن

تفحصينى ؟ ...

السيدة : أنت يا دكتور الذى يفحص ...

محمود : اليوم لا أقابل أحداً ... ألم يخبرك الممرض ؟ ...

السيدة : ولماذا لا تقابل أحداً ؟ ...

محمود : إنى متعب ..

السيدة : حقيقة يبدو عليك التعب ... ويحسن أن أتركك بسرعة ! ...

محمود : (باهتمام) انتظرى من فضلك .. أتلاحظين ذلك ؟ ... أنى متعب ؟! ...

السيدة : من عينيك ... نعم ... بالتأكيد ... أورفوار ! ..

محمود : ماذا فى عينى ؟! ..

السيدة : حولهما تجاعيد سوداء ...

محمود : تجاعيد ! ...

السيدة : أقصد ...

محمود : لا تحاولى التلطف ... يبدو فى عينيك أنت أنى خيبت ظنك ... كنت تعتقدين أنى أصغر من ذلك سنا ... قولى بصراحة ... إنى لا أغضب ...

السيدة : حقاً ... رأيت صورتك فى إحدى المجلات ...

وكنت تبدو ،..

محمود : أصغر مما أنا الآن ؟ ...

السيدة : المسألة على كل حال مسألة أذواق ...

محمود : أذواق من ؟ ..

السيدة : أنت أدرى يا دكتور بالناس ... يدهشنى مع ذلك ما سمعت من بعضهم .. سمعت عنك من أكثر من سيدة .. شيء غريب .. شيء غريب .. حقا ما أكبر إشاعات المجتمع ، وكلام الناس ، واختراعات السيدات .. الحبة يعمل منها قبة ...

محمود : تقصدين أنها مبالغات ...

السيدة : المجتمع دائماً هكذا ... هذه ليست أول مرة ..

محمود : الحبة يعمل منها قبة .. والحبة هى بالطبع أنا ! ..

السيدة : لم أقل ذلك يا دكتور ...

محمود : المهم أنك كنت تتصورينني غير ذلك ...

السيدة : حقيقى ... ولكن ... على كل حال ... لا داعى لإطالة الكلام الآن فى موضوع كهذا وأنت متعب .. أورفوار يا دكتور ! ...

محمود : لا أريد أن أضيع وقتك معى .. ولكن لحظة واحدة ! .. اسمحى لى بسؤال ! ...

السيدة : لا تحرجنى يا دكتور ... يحسن أن أنصرف الآن ! ...

محمود : بهذه السرعة ؟! ...

السيدة : (**تلتفت إلى الصورة**) مسكينة هذه الشابة الصغيرة ... أهذا معقول ؟ ... الدنيا مملوءة بالعجائب ! ... أورفوار يا دكتور ! ...

(تخرج بسرعة ... ويبقى محمود وحده مطرقا جامدا بلا حراك ....)

محمود : (**مخاطباً نفسه**) حقاً ... أهذا معقول ؟! ...

سالم : (**يدخل فى تردد**) مالها خرجت تجرى كالمجنونة ! ... هذه السيدة هى التى دخلت من نفسها يا سيدى الدكتور وأقسم بالله ! ... وقد أحسنت بطردها ...

محمود : (**كالمخاطب نفسه**) أنا لم أطردها ... هى التى هربت ...

سالم : لم أعلم بأمرها والله إلا وهى خارجة ..

محمود : (**هامساً**) هربت منى ! ... نعم هى التى هربت منى ! ...

سالم : سيدى الدكتور يرى أنى مخطىء ...

محمود : لا .. اذهب أنت إلى عمـــــلك ... (**ينهض متنهداً ،**) ولأعد أنا أيضاً إلى عملى الأصلى ! ...

(يتجه إلى الصورة وينزعها ويلقى بها فى عين النافذة التى انتحرت منها ...)

(ستار)

نحو حياة أفضل

فصل واحد

١٩٥٥

(حجرة بسيطة فى منزل ريفى ... المصلح جالس ، يقرأ كتابا تحت ضوء مصباح غازى موضوع فوق مائدة صغيرة ! ... ساعة قديمة فى أحد الأركان ، تدق النصف بعد الحادية عشرة ، فيفتح باب تظهر منه زوجته)

الزوجة : أظنك قرأت كفاية ! ... الليل كاد ينتصف ! ... نحن هنا فى الريف ؛ كما تعلم ! ... وقد اتفقنا قبل مجيئنا أن ننام بعد العشاء ونستيقظ عند الشروق ! ... ألاتذكر ؟! ...

المصلح : (**وهو ينظر فى كتابه**) فعلنا ذلك أمس ! ...

الزوجة : يجب أن نواظب ! ...

المصلح : (**وهو مستمر فى مطالعته**) واظبى أنت وحدك ! ...

الزوجة : وأنت ؟ ... ألم يعجبك منظر الشمس ، وهى طالعة من خلف الغيطان ؟ ...

المصلح : أعجبنى ... ولكن القراءة تعجبنى أكثر ! ...

الزوجة : القراءة تستطيعها فى « القاهرة » ... فى كل مكان ... ولكن هنا ! ...

المصلح : هنا النهار طويل جداً ! ...

الزوجة : اشغل بعضه بقراءتك ...

المصلح : قلت لى ستجلس تحت الشجر ! ... وستقرأ كما يحلو لك فى الظلال الوارفة والمياه الجارية ... وقد قضينا نهار

أمس ! ... نبحث عن شجرة واحدة ، فى هذا الريف ، يمكن أن نجلس تحتها ، فلم نجد إلا شجرة السسط التى ربطوا فى جذعها البهائم بعلفها وروثها ... حصل أو لم يحصل ؟! ...

الزوجة : قلت لك لا تنس مظلتك ! ...

المصلح : مظلتى ؟! ...

الزوجة : طبعا ... نحن فى صميم الصيف ! ...

المصلح : مظلتى فى الجنة ؟ ... قلت لى ستذهب إلى جنة الريف ! ... هل يجلس الناس فى الجنة تحت شجرة أو تحت مظلة ؟! ... والمياه الجارية ... هذه الترعة التى رأينا فيها البارحة جثة الحمار النافق منتفخة ، يعلوها الذباب والحشرات ! ... حصل أو لم يحصل ؟ ...

الزوجة : أعرف لماذا كل هذه الانتقادات ! ...

المصلح : لماذا ؟ ...

الزوجة : لأنها قرية أهلى ! ...

المصلح : يا للنساء ... أهذا تفكيرك ؟! ...

الزوجة : لا أجد سببا آخر لتبرمك .. أنا هنا معك .. فلماذا لا أرى الأشياء بعين السخط ، كما تراها أنت ؟ ..

المصلح : لأنك لا تريدين أن ترى الواقع ! ...

الزوجة : إنى أرى الواقع ، ولكنى أتسامح ...

المصلح : أما أنا ، فلا أريد مطلقاً أن أتسامح ! ...

الزوجة : أرأيت ؟! ...

المصلح : من فضلك .. لا تحشرى شخصك أو أهلك فى الموضوع ! ... إنى لا أريد أن أتسامح ؛ لأن تلك هى مهنتى ... عرفت الآن ؟ ...

الزوجة : أعرف دائماً أنك مصلح اجتماعى ، وأن عملك ...

المصلح : عملى هو أن أبدأ بالثورة على الوضع الفاسد ، أو على الأقل أشعر بضرورة تغييره ... أليس كذلك ؟ ...

الزوجة : طبعا ...

المصلح : إذن لا تسامح ! ... لأن التسامح ليس من صفات المصلح ، لأن معناه التغاضى عن الفساد ، أى القعود عن الإصلاح ، أى إلغاء مهمته ، وبإلغاء مهمته يلغى وجوده .. فهل تريدين أن يلغى وجودى ؟! ...

الزوجة : بالطبع لا ! ...

المصلح : إذن لا تطلبى منى أن أتسامح ، عندما أرى شيئاً لا يعجبنى هنا ! ...

الزوجة : فى قريتنا ؟! ...

المصلح : وآخرتها معك ؟! ... قلت لك لا أقصد قريتكم بالذات ... أقصد كل القرى ... كل الريف ! ...

الزوجة : اعذرنى يا عزيزى ! .. أنت هنا ضيفنا ... والمضيف

حساس بأقل نقد من الضيف ! ...

المصلح : إنى لست ضيفك ... إنى زوجك ...

الزوجة : ماذا تعنى ؟ ...

المصلح : أعنى أن واجبك أن تفهمينى مجرداً من كل صفة ، إلا صفة الزوج ورسالته ! ...

الزوجة : إنى آسفة ..

المصلح : أعترف أنى لم أكن لبقا ، ولا مجاملا فى أمور كثيرة هنا ... ولكنى ...

الزوجة : ولكنك تؤدى مهمتك ! ... فهمت الآن !! ...

المصلح : نعم ! ... مهمتى هى إصلاح الناس ... إنى أتمنى لو أغمض عينى ثم أفتحها فأرى الفقر من حولى قد تلاشى ، وأرى الناس يعيشون فى حياة أفضل ...

الزوجة : حقاً ... إنك دائماً تتحدث عن حياة أفضل ...

المصلح : إنها آتية لا ريب فيها ... إنى أحيا بهذا الأمل ... وأعمل من أجله وأتصور مبلغ سعادتى إذا تحقق ذلك فى حياتى ... أتعرفين ماذا كنت أصنع عند دخولك الساعة ؟ ...

الزوجة : كنت تقرأ ! ...

المصلح : نعم ... كنت أقرأ قصة « فاوست » ... قصة ذلك العالم الفيلسوف الهرم الذى باع نفسه للشيطان ، كى يرده إلى الشباب : أى إلى تلك الحياة التى هى أفضل فى نظره ...

كنت أقرأ الآن هذه القصة ؛ وأسائل نفسي : ترى لو
جاءنى الشيطان الليلة ، ماذا أطلب إليه ؟ ...

الزوجة : ستطلب إليه بالطبع حياة أفضل ...

المصلح : نعم ! ... ولكن ليس لنفسى ! ...

الزوجة : للناس !! ...

المصلح : بالضبط ! ...

الزوجة : قم إذن ونم ... هذا خير لك ... (**الساعة تدق دقة**) ... ها هو ذا الليل كاد ينتصف ! ...

المصلح : اذهبى أنت ونامى ! ... لا بد لى من إتمام القراءة للفصل الأخير ! ..

الزوجة : (**وهى خارجة**) تصبح على خير ! ...

(**تخرج وتترك زوجها وحده فى الحجرة ... وقد عاد إلى كتابه واستغرق فى القراءة ، ... ويأخذ نور المصباح فى التناقص شيئاً فشيئاً ، دون أن يشعر ... وفجأة يبدو شبح قرب الباب ... هو « الشيطان » ! ..**)

المصلح : (**دون أن يرفع رأسه عن الكتاب ، وقد أحس بوجود أحد فى الحجرة ظنه زوجه**) عُدت مرة أخرى ؟ ...
قلت لك اذهبى أنت ونامى ! ..

الشيطان: لقد ذهبت بالفعل ونامت ...

المصلح : (**يلتفت مذعوراً**) من هذا ؟! ...

الشيطان: هذا أنا ! ...

المصلح : من أنت ؟ ...

الشيطان: أنا الذى تقرأ عنه الآن فى كتابك ! ... وكنت تسائل نفسك بشأنه منذ قليل ! ...

المصلح : الشيطان ؟! ...

الشيطان: خادمك ! ...

المصلح : إنى ... إنى ...

الشيطان: لا داعى لإضاعة الوقت فى الفزع التقليدى ! ... لقد جئت لأقوم بخدمة ..

المصلح : إنى ما فزعت ، ولكنى فوجئت ...

الشيطان: والآن ... هل انتهى الوقت المخصص للمفاجأة ؟! ... هل ندخل فى الجد ؟ ...

المصلح : تفضل !! ...

الشيطان: عرفت بالطبع حكايتى مع الفيلسوف « فاوست » ، كما رويت فى الكتاب الذى بين يدك ... إنها حكاية تعاقد تم بيننا .. وقد وفيت أنا بجميع تعهداتى بالتمام والكمال ، وأعطيته الشباب ... أما هو فلم يقم بتعهده ، ولم يعطنى الثمن حتى الساعة ! ...

المصلح : الثمن ؟! ...

الشيطان: نعم ... الثمن ... وهو نفسه ألم يتعهد صراحة ، ويوقع على تعهده بأن يمنحنى هذه النفس ؟ ... حصل أو لم يحصل ؟ ... ولكن جاءت ساعة قبض الثمن ، فإذا بهذه النفس قد تبخرت أو تغيرت ... لست أدرى ما الذى حدث لها ؟ ... فإذا هى تصعد أو ترقى إلى أعلى .. ولا يستطيع اللحاق بها ... أرأيت غش صديقك ؟ ...

المصلح : صديقى ؟! ..

الشيطان: المهم أنت الآن أمام شخص أمين فى المعاملة بفى بوعده ويحترم توقيعه ...

المصلح : وما دخلى ؟ ...

الشيطان: تستطيع أن تطمئن إلى أى تعاقد يقوم بيننا ...

المصلح : بينى وبينك ؟! ...

الشيطان: و لم لا ؟ ... ألم تفكر فى ذلك منذ قليل ؟ ...

المصلح : بلى ... على سبيل الخيال أو المداعبة ... ولكن عندما يتخذ الأمر صفة الجد ...

الشيطان: هذا أدعى إلى الإقدام ! ...

المصلح : أضع يدى فى يدك ؟! ... إنى لست فيلسوفا يبحث فى مصيره الخاص ... إنى مصلح ... يريد النهوض بمصاير الآخرين ... فكيف أضع مصاير الناس فى يد الشيطان ؟! ... أليس هذا مناقضا لرسالتى كل

التناقض؟! ...

الشيطان: إنك تتلاعب بالألفاظ ! ...

المصلح : إنى أقرر حقيقة ...

الشيطان: الحقيقة الوحيدة هى أنى الآن على أتم استعداد لمعاونتك فى إصلاح الناس .. هل تقبل أو لا تقبل ؟ ...

المصلح : إصلاح الناس ؟! ...

الشيطان: فى طرفة عين ! ...

المصلح : أنت تفعل هذا ؟! ...

الشيطان: جربنى ! ...

المصلح : ما هو الثمن ؟! ...

الشيطان: بسيط جداً ... لن أطلب إليك أن تمنحنى نفسك ... اطمئن ! ... مسألة النفوس هذه ، لم تعد صفقة مضمونة ! ... لا ... لا شأن لى الآن بنفوسكم ! ... إنى لا أفهمها كثيراً ... ومن الخطأ التعامل بسلعة غامضة وبضاعة غير مفهومة ! ... كثيرا ما كانت موضع غش وخديعة ! .. لا يا سيدى ! ... أنا اليوم غيرى بالأمس .. كنت فيما مضى شابا نزقا ، يحلو له أن يتحدى الخير ، وأن يغرى الناس بالإثم والشر ... أما اليوم فأنا شخص آخر ! ...

المصلح : شخص آخر ؟! ...

الشيطان: نعم ... أنا اليوم ، كما ترى ، كهل متزن ... ولقد تغير ذوقى تبعاً لذلك ... فصرت أميل إلى مصاحبة العلماء والمصلحين ... وصارت هوايتى المعاونة فى الخير والإصلاح ... ودليلى هو أنى هرعت إليك ، عندما سمعتك تطلب حياة أفضل لقومك لا لنفسك ... ولو أنك طلبت حياة أفضل لذاتك وحدها ، كما فعل « فاوست » ـــ فيما مضى ـــ لما أغرانى ذلك بالمجىء الليلة إليك ! ... فأنا لا أحب أن أكرر نفسى فى تجربة قديمة ! ... إن العصور القديمة قد ذهبت ! ... أنا الآن فى عصر جديد يغرينى بتجربة جديدة ـــ خدمة المجموع لا خدمة فرد ! ...

المصلح : تستطيع حقاً أن تعاوننى فى خدمة المجموع ؟ ...

الشيطان: قلت لك : فى طرفة عين ! ...

المصلح : نعم ولكن ... الثمن ؟ ...

الشيطان: بسيط جداً كما قلت لك ! ...

المصلح : ما هو ؟ ... تكلم ! ...

الشيطان: أن تكون رجلا صادقا ...

المصلح : وبعد ! ...

الشيطان: لا شىء غير ذلك ...

المصلح : والثمن ؟ ...

الشيطان: هذا هو كل الثمن : أن تكون رجلا صادقا ! ..

المصلح : أتعطينى دروساً فى الأخلاق ؟! ... إنى دائماً كنت صادقا ! ...

الشيطان: اتفقنا إذن ! ...

المصلح : أهذا هو كل ما تطلبه منى ؟! ..

الشيطان: لا أطلب أكثر من ذلك ! ...

المصلح : هذا عجيب ! ...

الشيطان: ألم أقل لك إنى صرت شخصاً آخر ؟! ... ماذا كنت تنتظر منى أن أطلب إليك ؟ ... أليس من الواجب أن يكون طلبى متفقاً مع مبادئى الجديدة ؟ ..

المصلح : تريد إذن أن تبدأ بإصلاحى ؟! ...

الشيطان: عفواً ! ... لست أقصد ذلك ...

المصلح : على كل حال ثق أنى رجل صادق ..

الشيطان: وهذا اعتقادى .. ولكننى تقدمت بطلبى ليطمئن قلبى ! ...

المصلح : لا خلاف بيننا إذن ... عليك أن تقوم بالمعاونة فى الإصلاح ...

الشيطان: وعليك أن تقول للناس الصدق ...

المصلح : (**فى قلق**) ماذا تعنى ؟ ...

الشيطان: أظن أن المعنى واضح ! ...

المصلح : تعنى أن على أن أقول للناس إنك ...

الشيطان: بالضبط ! ... إنى عاونتك فى الإصلاح ...

المصلح : تريد أن أقول للناس إن الشيطان قد عاوننى فى إصلاحهم !! ..

الشيطان: هذا هو الواجب ! ..

المصلح : (صائحاً) أهذا معقول ؟! ..

الشيطان: و لم لا ؟ ... أليس هذا هو الصدق ؟! ...

المصلح : الصدق ؟ ... نعم ! ... ولكن ...

الشيطان: ولكن ماذا ؟ ... ليست لك الشجاعة أن تكون أمام الناس رجلا صادقا ! ...

المصلح : إنك لا تتصور وقع هذا القول عليهم ! ..

الشيطان: وماذا كنت تريد إذن أن تقول لهم ؟ .. هب أن أحدهم سألك : كيف استطعت هذا الإصلاح بهذه السرعة ؟! ... ماذا يكون جوابك ؟ ...

المصلح : بمعونة الشيطان ؟ ... كلا .. هذا مستحيل ! ... لن أستطيع أن أصارح الناس بأن الفضل فى إصلاحهم ، راجع إلى معونة الشيطان !! ...

الشيطان: ستمتنع إذن عن قول الصدق ؟! ...

المصلح : نعم ! ... سأمتنع ! ..

الشيطان: وماذا تسمى موقفك هذا فى نظر أخلاقك ؟! ..

المصلح : لست أدرى ! ..

الشيطان: كنت إذن ستخدعنى ... أنت أيضاً !! ..

المصلح : الثمن باهظ ... لا يمكن الوفاء بمثل هذا الثمن ! ...

الشيطان: حتى كلمة الصدق لا أستطيع أن أتقاضاها منكم !! ..

المصلح : ضع نفسك فى موقفى ! ...

الشيطان: ليس لى هذا الشرف ... إنى مخلوق قد اعتاد من قديم الزمان أن يكون صريحاً مع نفسه ، وأن يسمى الأشياء بأسمائها ... الشراسمه الشر ... والجبن اسمه الجبن ... والكذب اسمه الكذب والنذالة اسمها النذالة ! ...

المصلح : إنى آسف ...

الشيطان: أخفق الاتفاق إذن ؟! .. سأعود من حيث جئت ... وليبق قومك فى بؤسهم ، وفقرهم ، وشقائهم ! ... وإذا استيقظ فى الغد ضميرك ، فتشجع وصارحه هذه المرة بالحقيقة ... واذكر له اسم المسئول عن هذا الفشل ...

المصلح : تريد أن تحملنى أنا المسئولية ؟! ...

الشيطان: شىء عجيب ! ... أوَ تريد منى أن أحملها أنا أيضاً ؟! ...

المصلح : لا أريد منك ذلك ... ولكن ثق أن ضميرى سيستيقظ فى الغد مستريحاً ! ...

الشيطان: بالطبع ! ... أعرف ذلك جيداً ! ... هذه أشياء تحدث

ل كل يوم ... ما دمت أنا موجوداً فى هذه الدنيا ، فإن
أكثركم يعيش مستريح الضمير بعد أن يلقى بأوزاره وتبعاته
على شخصى الحقير ! ...

المصلح : أجئت الليلة لإهانتى ؟! ...

الشيطان: عفواً ! ... إنى ما جئت إلا لمعاونتك ! ...

المصلح : إنك لم تعاونى ... ولكنك كشفت عن طواياك ! ...

الشيطان: بل كشفت عن حقيقتك ! ...

المصلح : حقيقتى ؟! ...

الشيطان: إنك لا تحب الناس بقدر حبك لنفسك .. إنك لست
حريصا على إصلاح قومك ، بقدر حرصك على سلامة
موقفك ! ...

المصلح : (**صائحاً**) اخرج من هنا ! ...

الشيطان: (**باسماً**) غاظك ظهور الحقيقة ؟ ...

المصلح : اذهب عنى أيها اللعين ! ...

الشيطان: (**منصرفا بابتسامة**) سأذهب ... وأرجو لضميرك نوما
هادئا ! ...

المصلح : انتظر ...

الشيطان: (**يقف**) أمرك ! ...

المصلح : قبلت الشرط ! ...

الشيطان: ستقول للناس الصدق ؟! ...

المصلح : نعم ؟ ...

الشيطان: ستصارح قومك بأن الشيطان عاونك فى إسعادهم وإصلاحهم ؟! ...

المصلح : سأصارحهم ! ...

الشيطان: سيرجمونك بالحجارة ! ...

المصلح : أعلم ذلك ...

الشيطان: هات يدك ! ... الآن أنت مصلح حقيقى ! ...

المصلح : أتمزح ؟! ...

الشيطان: بل أقول الجد ... المصلح الحقيقى هو الذى يقدم ، وهو يتوقع الرجم ! ...

المصلح : قل لى الآن كيف ستصلح قومى ؟! ...

الشيطان: سترى بعينيك ! ...

المصلح : متى ؟ ...

الشيطان: فى طرفة عين ! ... هكذا وعدت ...

المصلح : نفذ وعدك ! ...

الشيطان: أغمض عينيك ثم افتحهما ! ...

(المصلح يغمض عينيه ... وعندئذ تبرق الدنيا ببرق خاطف ...)

المصلح : (**يفتح عينيه**) لقد فعلت ! ...

الشيطان: وأنا قد نفذت ! ...

المصلح : أين هذا ؟! ...

الشيطان: قم وانظر من هذه النافذة ! ...

المصلح : (**ينهض وينظر من النافذة ويصيح دهشة**) إلهى ! ... أين القرية ؟ ... أين الأكواخ ؟ ... أين القرية القذرة ؟ .. أين الأكواخ الحقيرة ؟! ... ما كل هذه المبانى الجميلة ؟ ... ما كل هذه البساتين العامة ؟ ... ما كل هذه « الفيلات » التى تحيط بها الحدائق الصغيرة ؟! ... يا للمعجزة ! ... أقومى يعيشون فى هذه الجنة ؟! ...

الشيطان: طبعا ! ...

المصلح : (**فى فرح شديد**) يا للسعادة ! .. إنهم ولا شك جميعا سعداء ! ...

الشيطان: بدون شك ... أتريد أن ترى أحدهم ؟ ...

المصلح : نعم ! ... أرجوك ! ...

الشيطان: سأحضر لك من كان أفقرهم وأحقرهم شأنا ! ...

المصلح : رأيت هذا الصباح تحت شجرة السنط المواشى ، ومعها الأجير الذى يسرحها ، أقذر منها وأحقر ، بثوبه الوحيد الخَلق الذى لا ينستر جسمه العارى ، وخلفه امرأته فى مثل فقره تجمع بيديها الروث ؛ لتعجن منه وقودا ! ...

الشيطان: سأحضرهما لك ... لحظة واحدة ...

(يصفق الشيطان بكفيه ... فينفتح الباب ويظهر منه فلاح فى ثياب عصرية وخلفه فلاحة فى زى نسائى متحضر ..)

المصلح : (**محملقا فيهما بدهشة**) نعم ! ... هما بعينهما ، ولكن ! ...

الشيطان: فى مقدورك أن تحادثهما كما تشاء ! ...

المصلح : (**للفلاح**) تفضل اجلس يا سيدى الفاضل ! ... الاسم الكريم ؟ ...

الفلاح : محسوبك « محروس الجرف » ...

المصلح : (**للفلاحة**) والست ؟ ...

الفلاحة : (**بحياء**) اسمى « خضرة » ! ...

المصلح : ألا تذكرانني ؟ ... لقد رأيتكما هذا الصباح ، تحت شجرة السنط قرب ..

الشيطان: (**همسا**) إنهما لا يذكران هذا الصباح إلا كما تذكر أنت طفولتك عند ولادتك ... دعك من ماضيهما ... حادثهما فى الحاضر ! ...

المصلح : (**للفلاح**) قل لى يا .. « سيد محروس » ... ماذا تعمل الآن ؟ ...

محروس : أعد أرضى للزراعة الشتوية ...

المصلح : أرضك ؟! ...

محروس : نعم ... أقصد العشرين فدانا ؟! ...

المصلح : أتملك عشرين فدانا ؟! ...

محروس : وهل هذا كثير ؟! ... أفقر فلاح فى الناحية يملك عشرين فدانا ، مع منزله الصغير ، وحديقته ! ...

المصلح : منزله وحديقته ؟! ...

محروس : نعم منزله الذى يسميه « الفيللا » ...

المصلح : « فيللا » ؟! ... « للفلاحة » أتسكنين « فيللا » يا .. ست « خضرة » ؟! ..

خضرة : طبعا ... وأين أسكن ؟! ...

المصلح : (مبهورا) ما شاء الله ! ... ما شاء الله ! ...

محروس : سيادتك غريب على البلد فيما يظهر ! ...

المصلح : غريب جدا ...

محروس : نعم ... لا أذكر أنى رأيتك قبل الآن ...

المصلح : أما أنا فقد سبق ... قل لى يا سيد « محروس » ... هل عندك أجير يسرح لك المواشى ؟! ...

محروس : المواشى ؟! ... ليس عندنا غير جاموسة واحدة لحلب اللبن ، نضعها فى زريبة صغيرة بالحديقة بجوار مكان الدواجن ، وتشرف عليها زوجتى ! ...

المصلح : وأعمال الغيط ؟! ...

محروس : لا نستخدم المواشى فى أعمال الغيط .. لدينا المحاريث

والجرارات و « الماكينات » البخارية ! ...

المصلح : أتملك أنت كل ذلك ؟ ...

محروس : بل تملكها الجمعيات التعاونية ، وتقوم هى بخدمة جميع الملاك أمثالنا .. فى نظير الاشتراك السنوى طبعا ! ...

المصلح : (مبهورا) شىء جميل ! ... جميل ! ... جميل جداً !! ... أنتم على ذلك فى غاية الرخاء ؟ ...

محروس : نحمده ! ... ولكن ...

المصلح : ولكن ماذا ؟ ...

محروس : لى جار ملاصق يملك أربعين فدانا ... أردت أن أشترى منه خمسة فدادين فرفض الملعون ! ...

المصلح : وهل أنت الآن محتاج ؟! ...

محروس : وهل هو محتاج ؟! ... إن له على الأقل أولاداً أكثر منى ، يعملون كلهم بأجور مجزية فى مصانع القرية ...

المصلح : وهل فى القرية مصانع ؟! ..

محروس : طبعا ... مصانع زراعية للجبن واللبن المحفوظ والخضر والفاكهة المعبأة ! ...

المصلح : لاستهلاككم المحلى ! ...

محروس : لنا ولغيرنا ...

المصلح : ما شاء الله ! ... شىء جميل ! ... ما من شك فى أنكم فى رخاء وسعادة ... والآن قل لى يا « سيد محروس » ... ماذا تعمل فى وقت فراغك ؟ ... لابد أن لك وقت فراغ

بالطبع ، وأنتم فى هذا المستوى من المعيشة ! ...

محروس : وقت فراغى ؟! ...

خضرة : أنا أقول لك بالحق يا سيدى .. تريد أن تعرف كيف يمضى ليله مع إخوانه : الشاى والحشيش ! ...

محروس : (**لزوجته منتهرا**) اخرسى ! ...

المصلح : (**مصدوما**) الحشيش ؟! ..

محروس : لا تصدقها .. إنها حرمة مغتاظة موتورة ؛ لأنى أريد أن أتزوج عليها أخرى ! ...

المصلح : تتزوج عليها أخرى ! ...

خضرة : نعم يا سيدى ! ... إنه لاهم له الآن سوى البحث عن زوجة جديدة ! ...

المصلح : ولماذا ذلك ؟! ...

خضرة : قل له يا سيدى ! ... لماذا يفعل ذلك ، وأنا أخدمه ، وأرعاه ، وأسهر على راحته ، ومنذ زمن طويل ! ..

محروس : أليس لى الحق أن أمتع نفسى ؟! ...

المصلح : تمتع نفسك بمثل هذا العمل ؟! ..

محروس : حالتى طيبة ، وفلوسى فى جيبى ؛ والأشيا معدن ! ... لماذا أحرم نفسى ؟! ...

المصلح : ألا تعرف طرقا أخرى تمتع نفسك ، غير الحشيش والنسوان ؟! ...

خضرة : قل له يا سيدى ! ... قل له ! ...

محروس : اسكتى أنت يا امرأة ! ...

المصلح : لماذا لا تمتع نفسك بقراءة كتاب جيد ؟ ... أو بمحادثة زوجتك فى موضوع ظريف ؟ ... أو الإصغاء إلى إذاعة لطيفة فى « الراديو » ؟ ...

محروس : « الراديو » عندنا فى حجرة الضيوف يبيض عليه الدجاج ، وتلعب فوقه الكتاكيت ! ...

خضرة : كذاب ! ...

محروس : احلفى أن هذا لم يحصل ؟! ...

خضرة : وماله ؟ ... هل نحن وحدنا ... غيرنا يترك الأرانب تلد تحت الفراش ... وبلاليص المش والعسل الأسود خلف الكنبة ...

محروس : كفاية يا حرمة ! ... لا داعى لكشف سترنا أمام الناس ... عودى إلى دارك ! ...

خضرة : وأنت إلى حشيشك وشايك ! ...

محروس : هس ! ... امشى قدامى ! ...

(**يشيران بالتحية ويخرجان ...**)

الشيطان: ما قولك الآن ؟ ... هأنذا قد وفيت بوعدى ! ...

المصلح : (**فى وجوم**) نعم ! ... ولكن ...

الشيطان: ولكن ماذا ؟ ...

المصلح : أهذه هى كل الحياة الأفضل ؟! ...

الشيطان: ألم تتغير حياتهم ؟ ... ألم يتحول بؤسهم إلى رخاء ؟ .. ما الذى ينقصهم ؟ ...

المصلح : النفس ! ...

الشيطان: ماذا تقول ؟ ...

المصلح : إنك لم تصنع شيئا جديداً ... إنك جعلتهم على غرار الطراز المعروف لأولئك الأثرياء من ملاك الريف ! ... لقد دخلت فيما مضى قصراً لثرى ريفى يملك أكثر من عشرين ألف فدان ، ورأيت بعينى رأسى الماعز يمشى على السجاجيد الثمينة فى الصالون الذهبى الفاخر ! ... كما رأيت أقطاب هذا البيت لا يفقهون من معنى الحياة أكثر مما يفهم صاحبك « محروس » ! ... يرتدون أفخر الثياب ، ويذهبون إلى أوربا بالباخرة والطائرة والكاديلاك ، ويعودون وما فهموا من متع النفس أكثر مما يفهم « محروس » ! ...

الشيطان: لست أفهم بالضبط ماذا تعنى ؟ ..

المصلح : أعنى أن ثروة المال شىء ، وثروة النفس شىء آخر ! ...

الشيطان: ثروة النفس ؟! ...

المصلح : نعم ! .. هذا ما كان ينبغى لك أن تفهمه .

الشيطان: ما فهمته هو أنك تريد لقومك حياة أفضل .. و ما من أحد

ينكر أن حياة هذا الفلاح الآن أفضل بكثير من حياته الأولى ، عندما رأيته مع المواشى « تحت » الشجرة ! ...

المصلح : حقا ! ... أفضل من جهة الملبس ، والمأكل ، والمسكن ! ...

الشيطان: وماذا تريد أكثر من ذلك ؟!

المصلح : أريد إنسانا أرقى ... أريد إدراكا أفضل لمعنى الحياة ... معنى الحياة عند الأجير الفقير والمالك الثرى شيء واحد حشيش ، ونساء ... أليس كذلك ؟! ...

الشيطان: وأخيرا ؟! ...

المصلح : أنت لم تعط قومى إذن الحياة الأفضل ... الحياة الأفضل هى المعنى الأفضل للحياة ! ...

الشيطان: هذا ليس فى شرطنا ...

المصلح : شرطنا هو أن تصلح الناس ... وإصلاح الناس يشمل إصلاح النفس قبل كل شيء ! ...

الشيطان: النفس ! ... النفس ! ...

المصلح : هذا هو جوهر الإنسان ! ...

الشيطان: ألم أقل لك إنك ستخادعنى ، كما خادعنى « فاوست » من قبلك ؟! ... إنكم دائما تخدعوننى من هذه الناحية ... النفس ... لعنة الله على النفس ... كل المتاعب لا تأتينى إلا من هذه الكلمة ... وداعا ! ...

المصلح : أتنصرف ؟ ...

الشيطان: لم يبق لى غير الانصراف .. إن ما تطلبه لا أستطيعه أنا .. لا يستطيع هذا النوع من الإصلاح الذى تتحدث عنه غير شخص واحد ..

المصلح : من هو ؟

الشيطان: أنت !

(ينصرف الشيطان ... ويبقى المصلح مكبا على كتابه ... فتدخل عليه زوجته وتوقظه برفق ....)

الزوجة : قم الآن ونم فى فراشك ! ...

المصلح : (**يهب متلفتا**) هل انصرف ؟!

الزوجة : من هو ؟! ...

المصلح : ها أنت ذى يا عزيزتى ! ... أكنت نائما ؟! ...

الزوجة : نوما عميقا فوق كتابك ...

المصلح : نعم ... نعم ... يا للعجب ! ...

الزوجة : (**تتأمله فى قلق**) ماذا بك ؟! ..

المصلح : (**كالمخاطب نفسه**) تصورى أن إصلاح الناس يعجز عنه من يملك أخطر قوة على الأرض ! ...

الزوجة : عمن تتكلم ؟ ...

المصلح : كيف أستطيع أنا ما لم يستطعه هو ؟! ...

الزوجة : (**بقلق**) من هو ؟ ...

المصلح : (**متابعا تفكيره**) لأنه قد أعطى القدرة على كل شيء ، وكتب عليه العجز عن شيء واحد:صنع نفس أفضل ! ...

الزوجة : نفس أفضل ؟! ...

المصلح : هنا عملي ! ...

بين الحرب والسلام

فصل واحد
١٩٥١

(حجرة خاصة لسيدة تدعى « السياسة » ...
بها فرش وثيرة ... وأثاث للزينة ذو مرايا عديدة
وضعت عليه الأدوات والأصباغ ! ... ثم خزانة
ملابس ضخمة ، فى صدر المكان مصباح وردى
يضيء الحجرة إضاءة شعرية شاحبة ، فى ذلك
المساء ... والسيدة جالسة إلى مرآة الزينة تطلى
شفتيها بالأحمر ... وقد جلس على مقربة منها رجل
حسن المنظر ، تبدو عليه الدماثة واللطف ،
يدعى « السلام » ....)

السلام : (ناظراً إليها مليا) تحبين الزينة فيما أرى ! ...

السياسة : (بدون أن تلتفت إليه) عادة ! ... عادة قديمة ! ...

السلام : نعم ! ... ويالها من عادة ! ... ولكن الغريب أنك تستخدمين أصباغك هكذا علنا ! ...

السياسة : لقد أصبح من السذاجة أن نخفى ما يعرفه الجميع ! ...

السلام : حتى أمامى ؟ !... وفى حضورى ؟! ... تفعلين ذلك ، ولا تجدين حرجا ؟! ...

السياسة : هذا خير من أن ترانى قبيحة ! ...

السلام : قلت لك يا عزيزتى ألف مرة : إنى أحسبك على

حقيقتك ! ...

السياسة : أتظن ذلك ؟! ...

السلام : أقسم لك ! ... ولكنك لا تثقين بقسمى ! ... إنك باردة القلب لاتؤمنين بحب ! ... ولكنى أنا أومن بأنى لا أستطيع أن أعيش إلا بك ! ...

السياسة : (**وهى تنظر فى المرآة بدلال**) ألفاظ أسمعها كثيرا ! ...

السلام : تسمعينها كثيرا ؟! ... ممن ؟ ... من غيرى ؟ ... من زوجك ؟ ! ...

السياسة : (**بغير مبالاة وهى تسوى أحمر شفتيها**) نعم ! ... من زوجى أيضا !

السلام : زوجك ! ... هذا الفظ الغليظ ! ... هذا الثقيل المدعو « الحرب » ! ... يستطيع مثله أن ينطوى على شعور رقيق ؟! ...

السياسة : (**وهى تتناول أصبع الأحمر**) إنه يقول هو الآخر إنه لا يستطيع أن يعيش إلابى ! ...

السلام : يحبك إلى هذا الحد ؟! ...

السياسة : (**بدلال**) أتغار منه ؟! ...

السلام : إنى أمقته ! ... أمقته ! ...

السياسة : (**باسمة**) لا شك أنه يبادلك عين الإحساس ! ..

السلام : حذار أن يكون قد ارتاب فى وجود علاقة بينى

وبينك ! ...

السياسة : أتريد أن أصدقك القول ؟ ...

السلام : (صائحا) يا للكارثة ! ... أقلت له ؟! ...

السياسة : أأنا مجنونة ؟! ... اطمئن ! ... هدئ روعك ! ...

السلام : ماذا يعلم عنى ؟! ...

السياسة : يعلم فقط أنك تغازلنى من حين إلى حين ...

السلام : أغازلك ؟! ...

السياسة : هذا ما لم يكن فى الإمكان إخفاؤه ... وهذا ليس ذنبى أنا يا عزيزى ! ... فقد ضبطك وأنت تطلبنى بالتليفون ذات مرة ، ثم ضبطك يوما تقف فى الطريق أمام باب البيت ، وتتطلع إلى نافذتى ، وتصفر بفمك أغنيتك المعهودة ... فلما رأيته يقبل نحوك هربت ... أليس كذلك ؟ ... ثم ضبط أخيراً هديتك إلى التى سلمتها للبواب ! ... أزهار المشمش البيضاء ، المتفتحة على أغصانها ... تذكرة بحلول الربيع ! ...

السلام : هل سألك عنى ؟! ...

السياسة : بالطبع ! ... وأجبته : شاب « يعاكسنى » ولا حيلة لى فى منعه ... أليس هذا خير مخرج ؟! ..

السلام : وماذا قال عندئذ ؟! ...

السياسة : لم يقل شيئا ... زجر فقط ، ثم همس من بين أسنانه :

أرجو أن يقع يوما فى قبضتى هذا الشاب ، بغصنه الأبيض ... وأهشم رأسه « وأكسر » عوده ! ...

السلام : (**مرتعدا**) الله يبشرك بالخير !! ...

السياسة : (**باسمة**) هل خفت ؟ ..

السلام : (**ملتفتا إلى الأبواب المغلقة**) آأنت واثقة أنه الليلة مسافر ؟! ..

السياسة : أبلغ بى الهوس أن أدعوك إلى حجرتى ؛ ليلقاك زوجى ، ويهشم رأسك الجميل ؟! ...

السلام : ربما كان يسرك هذا المنظر ! ...

السياسة : إنك لا تعرفنى أيها العزيز ، ولا تعرف ما يسرنى ، وما يسوءنى ! ...

السلام : أعرف على الأقل أن وجودى معك لا يسوءك كثيرا ! ...

السياسة : ما دمت تعرف ذلك ففيم القلق ؟! ...

السلام : كيف لا أقلق وأنا أحبك ؟! ... إنى أعرف كل ما فى قلبى .. ولكنى لا أعرف كل ما فى قلبك ... من أدرانى أنك لا تعبثين بى ؟! ...

السياسة : وما مصلحتى ؟! ...

السلام : وهل من السهل فهم مصلحتك ؟! ... أليس من المحير للعقل أن ترضى فاتنة ذكية ، لبقة مثلك ، بهذا الثقيل الفظ زوجا ؟! ..

السياسة : هذا الزواج على كل حال لم يقم على الحب والغرام ! ..

السلام : أنت إذن لست سعيدة معه ؟ ...

السياسة : (تتنهد) سعيدة !! ..

السلام : إنى أرثى لك يا عزيزتى ... وأتمنى لو أنقذك مما أنت فيه ...
إنى طوع أمرك .. كلمة من بين شفتيك ، وأنا أحملك
بعيداً عن هذا الوحش ! ...

السياسة : كيف تستطيع ذلك ؟ ...

السلام : المسألة فى غاية البساطة ... نهرب معا ، ونترك البلد ،
ونسافر إلى أى مكان ! ...

السياسة : هكـذا على رءوس الأشهـاد ! ... تريدهـا إذن
فضيحة ! .. إنك لا تعرفنى .. إنى أيها العزيز أكـره
الفضائح المكشوفة ...

السلام : (**يفكر قليلا**) هناك حل آخر ! ... ولكنه يتوقف على
همتك أنت أولا ! ...

السياسة : ما هو ؟ ...

السلام : واجهى زوجك بكل صراحة ، وقولى له بكل شجاعة :
إنى لا أحبك ولا أحتمل قربك ... ولا ينبغى لى أن أقرن
حياتى بحياتك ... ولا يجوز أن يعيش أحدنا مع الآخر ،
تحت سقف واحد ! .. وإنه لم يبق هنالك مفر من
الطلاق !! ...

السياسة : الطلاق ؟! ...

السلام : نعم ! ... هذ ما ينبغي أن تسعى إليه وتلحى فيه ؛ لتتخلصي من هذا الزوج ! ...

السياسة : لا داعي إلى السعي والإلحاح ... هذا لا يكلفني أكثر من كلمة ... إن بيني وبينه رهانا ... لعبنا بالأمس لعبة « يدس » ... أتعرف لعبة « اليدس » ؟! ..

السلام : لا ..

السياسة : هي لعبة بسيطة : كل منا يحاول أن يعطي الآخر شيئا ، فإذا أخذه ساهيا ناسيا ولم يقل « في بالي » ... أسرع الآخر قائلا « يدس » وأملى شروط انتصاره .. إني واثقة من أني سأنتصر عليه ... وهنا أستطيع أن أجعل شرط انتصاري أن يمنحني « الطلاق » ! ... أرأيت كيف أن هذا أمر لا يكلفني أكثر من كلمة ! ...

السلام : (**يفرح**) إذن أسرعي ! ... والله معنا ! ..

السياسة : وبعدئذ ؟ ...

السلام : أتزوجك أنا ... ونعيش معا أخيرا في سعادة حقيقية دائما ! ..

السياسة : (**باسمة**) شيء جميل حقا ! ..

السلام : أليس هذا هو خير حل !! ..

السياسة : يالك من ساذج أيها العزيز ! ...

السلام : (**مصدوما**) ماذا تقولين ؟ ...

السياسة : يطلقنى هو ؛ لتتزوجنى أنت ؟! ...

السلام : أترفضين ؟ ..

السياسة : لست أرفضك أنت ، فأنت تعرف شعورى نحوك ! ... إنك تريد أن تكفل لى السعادة .... وربما كانت السعادة حقا فى كنفى .. من يدرى ؟! ولكن هل من حقى أنا أن أفكر فى السعادة وأتحدث عنها ! ... وهل أنا أهل لها ؟! ... إنى خائفة ! ....

السلام : خائفة منى ؟! ...

السياسة : خائفة من المستقبل ؟! ..

السلام : وهل زوجك هذا هو الذى يشعرك بالأمن والاطمئنان على المستقبل ؟! ...

السياسة : إنه على كل حال ذو سلطان ، وقوة ، ونفوذ ! ..

السلام : نعم ! ... هذا صحيح ! إنك تعتمدين على قوته فى تحقيق كثير من مطالبك ، وتنفيذ كثير من أغراضك ... ولكن السعادة ! ...السعادة ... السعادة ! ...

السياسة : (**تتنهد**) آه !.. نعم ! ... يا للحلم الجميل ! ...

السلام : لا بد لنا من التضحية بأشياء لنظفر بأحلامنا الجميلة ! ...

السياسة : ولكن الأحلام الجميلة يجب أن تكون قصيرة كهذه الأويقات التى نقضيها معا ، ونختلسها من الدهر اختلاسا ! ... إنها لذيذة لأنها نادرة ... تأتى فى فترات ؛

كأنها النسمات ، فى أيام الحر الشديد ! .. بالله عليك أيها العزيز ! ... لا تضيع هذه اللحظات فى مثل هذا الكلام غير المجدى ! .. دعنى ألبس لك أبدع ثيابى ، لأكون جديرة بهذه السهرة معك ! ... (**تنهض وتتجه إلى خزانة ثيابها وتفتحها**) .. ماذا تحب أن ألبس هذه الليلة ؟! ..

السلام : (**يلقى نظرة طويلة إلى ما فى الخزانة**) كل هذه الأثواب لك ؟ ...

السياسة : إنى أحب التغيير والتبديل ! ..

السلام : يا لك من امرأة ! ...

السياسة : (**باسمة وهى تستعرض أثواب الخزانة**) خمِّن ! ... كما أن المرأة هى التى تصنع الثوب ... وكل ساعة فى حياة المرأة لها ثوبها ؟ ...

السلام : ترى ما هو الثوب الذى يليق بهذه الساعة التى نحن فيها ؟! ...

السياسة : (**باسمة**) إن الثوب هو الذى يصنع المرأة ...

السلام : (**يرهف الأذن ، وقد سمع حركة فى الخارج**) أسمعت ؟! ...

السياسة : (**تلتفت إليه**) ماذا ؟

السلام : صوت باب يفتح ويغلق ! ...

السياسة : أأنت متأكد ؟! ... إذن هو زوجى قد عاد ! ...

السلام : (**ناهضا مضطربا**) زوجك ؟! ... والعمل الآن ؟ ...

السياسة : هدئ روعك .. واختبئ حالا !! ...

السلام : (**يلتفت حوله مضطربا**) أين ؟ .. أين ؟ ...

السياسة : (**تلتفت باحثة**) أسرع إلى ... إلى ... إلى خزانة ثيابى هذه ... وسأغلق عليك بالمفتاح ... هذا آمن موضع ! ...

السلام : (**يهرع إلى خزانة الثياب**) أنقذينى سريعا من هذه الورطة ! ...
أرجوك ! ...

(**تغلق عليه باب خزانة الملابس بالمفتاح ... ثم تخفى المفتاح فى صدرها ... ولا يمضى قليل حتى يفتح باب الحجرة ، ويظهر الزوج « الحرب » حاملا طاقة من زهر المشمش الأبيض فى أغصانه ....**)

الحرب : (**مقدما الطاقة إلى زوجته**) إليك يا عزيزتى طاقة من زهر المشمش الذى طلع فى هذه الأيام ! ... إنى كما ترين لا أخلو من شعور لطيف نحوك ! ...

السياسة : (**دون أن تمد يدها**) أشكرك ! ... هذا حقا لطف منك ! .. ولكن ... لماذا عدت الليلة قبل موعدك ! ...

الحرب : أعرف أنك لا تحبين أن أفاجئك ! ...

السياسة : أحب مجيئك فى الوقت المرسوم لك ! ... وهكذا الزوج المثالى ! ...

الحرب : إنى دائماً كنت لك زوجا مثاليا ! .. أتنكرين ذلك ؟! ... ولكنى الليلة جئت فى وقت لا تتوقعينه ؛ لأقدم لك خصيصا هذه الطاقة ! ...

السياسة : نعم !... فهمت ! .. شكراً لك يا عزيزى ! ...

الحرب : (**مقدما إليها الأزهار**) لماذا لا تأخذينها من يدى ؟! ...

السياسة : (**وهى تأخذها**) آخذها من يدك ؟ ... ولكن : « فى بالى » ! ...

الحرب : يا لك من ماكرة ! ...

السياسة : (**باسمة**) أتظن أنى ضعيفة الذاكرة مثلك ؟! .. إنى لا يمكن أن أنسى الرهان الذى بيننا ...

الحرب : أف ! ... ضيعت على لذة الانتصار عليك ! ...

السياسة : جئت إذن الآن ؛ كى تعطينى الطاقة ! ... آخذها من يدك ساهية لا هية ناسية ! ..

الحرب : وأقول لك عندئذ « يدس » ! ...

السياسة : (**ضاحكة**) يا لك من ساذج ! ...

الحرب : (**يتأملها**) كنت تتزينين فيما أرى ...

السياسة : نعم ! ... لأشغل وقتى ...

الحرب : لعلك كنت على وشك الخروج ! ...

السياسة : فكرت فى هذا فعلا ...

الحرب : وحدك ؟! ...

السياسة : ما هذا السؤال ؟! ...

الحرب : عفوا ... ما قصدت قط الإشارة إلى شىء ... إنما هو مجرد حب استطلاع !! ...

السياسة : حب الاستطلاع إذا صدر من زوج ، فإنه يسمى باسم آخر ! ...

الحرب : ماذا يسمى ؟! ...

السياسة : يسمى أحياناً « الارتياب » وأحياناً « الغيرة » !! ...

الحرب : ما الذى يجعلك تظنين أنى أرتاب فيك أو أغار عليك ؟! ...

السياسة : زهر المشمش المتفتح يهمس فى أذنى ! ... ما الذى ذكرك بأزهار المشمش بالذات ؟ ... هذا الزهر الأبيض النابت على غصنه ! ...

الحرب : ما هذا السؤال ؟! ...

السياسة : عفواً ... إنى ما قصدت الإشارة إلى شخص بعينه !! ... إنما هو محض استنتاج ! ...

الحرب : مع احترامى لفرط ذكائك ، وبراعة استنتاجك ؛ فإنى أؤكد لك أن ذلك الشاب الذى تقصدينه لا يستطيع أن يحرك فى رأسى شعرة ! ...

السياسة : أى شاب تعنى ؟! .. آه ! ... تعنى ذلك الشاب الذى قلت لك إنه يغازلنى ، ولا حيلة فى منعه ! ...

الحرب : إنه لا يستحق منى مجرد التفكير فى وجوده ! ...

السياسة : حسنا فعلت يا عزيزى ! ... إن التفكير فى أمره متعب ... فهو شديد الإلحاح ، والإصرار ، والعناد ! ... تصور أنه صنع المستحيل حتى تمكن من دخول هذه الحجرة ! ...

الحرب : (فى صيحة) دخل هذه الحجرة ؟! .. متى ؟ .. .

السياسة : الليلة ... فى غيبتك ! ...

الحرب : أوَقابلك ؟ ...

السياسة : طبعا ! ...

الحرب : أوَحادثك !! ..

السياسة : طبعا ! ...

الحرب : (يتأمل زينتها وأصباغها) وكيف إذن كنت تفكرين فى الخروج ؟! .. لعلك كنت خارجة معه ؟! ...

السياسة : طبعا ! ...

الحرب : (صائحاً) ما هذا الكلام يا امرأة ؟! ... أترين من الطبيعى أن تخرجى مع هذا الشاب العاشق ليلا ؟! ... وفى غيبتى ؟! ... ومن وراء ظهرى ؟! ...

السياسة : لست أدرى ما الذى جرى لعقلى فى تلك اللحظة ! ...

لقد استهوانى حقا وسلب لبى ! ...

الحرب : سلب لبك ؟! ...

السياسة : بل على الأصح ؛ شرح لى وجهة نظره شرحا ، فيه كثير من الصدق والإخلاص ! ...

الحرب : وتركته يتكلم ؟ ... واستمعت إليه ؟! ...

السياسة : طويلا ... وبكل هدوء ! ...

الحرب : يا للعجب !! ... أوَلم تلقى به من النافذة ؟! ...

السياسة : إنى لست مثلك ، أتصرف بقبضتى ! ...

الحرب : بل تصغين ، وتحسنين الإصغاء ! ... نعم ! ... أخبرينى من فضلك ما هو ذلك الكلام الجميل الذى قاله لك ؟! ...

السياسة : قال لى إنه يحبنى ، ولا يستطيع أن يعيش بدونى ، ويريد أن يهرب معى ...

الحرب : يهرب معك ؟! ..

السياسة : بعيدا عنك ... ليمنحنى السعادة التى لا يمكن أن أعرفها معك ، أو ألقاها فى كنف خلقك الفظ ، وظلك الثقيل ! ...

الحرب : (ثائرا) يا للشقى ! ...

السياسة : هدئ روعك أيها العزيز !! ...

الحرب : (صائحاً) أهدئ روعى ؟! ... كيف يهدأ روعى بعد

الــذى سمعت ؟! ... يهرب مــعك ؟ ... يخطــفك
منى ؟ ... هذا الشاب السخيف الضعيف ، الذى لا
يتحمل نفخة منى ... يصير بعدها رمادا ... يذهب
بك ؟ .. بعيدا عنى ؟ ... وكيف يستطيع أن يأخذك من
زوجك ؟ ... أنسى هذا الأحمق أنى زوجك ؟! ...

السياسة : توسل إلىّ أن ألتمس منك الطلاق ! ...

الحرب : الطلاق ؟! ...

السياسة : ليتزوجنى من بعدك ! ...

الحرب : أهو مجنون ؟! ...

السياسة : بل هو فى تمام عقله ... وهو يعتقد بكل إخلاص أنه أحق
منك بى ... وأن زواجى منك غلطة لا تغتفر ! ..

الحرب : (**صائحــــاً**) وأنت ؟ ... أنت ؟! ... أنت ؟! ...
أتركته يقول كل هذا ، دون أن تصفعيه ؟! ...

السياسة : إنى أترك مهمة الصفع لك أنت ؟! ...

الحرب : الآن ! ... بعد أن تركته يفر ... هذا الجبان ؟! ...

السياسة : ومن قال لك إنه فر ؟ ...

الحرب : لم يفر ؟! ... أين هو إذن ؟ ، ...

السياسة : فى قبضتك ؟ ...

الحرب : (**صائحاً**) لست أفهم ... أفصحى ! ...

السياسة : إنه هنا الآن فى هذه الحجرة ...

الحرب : (**منفجرا**) هنا ؟! .. أين ؟ .. أين ؟ .. دلينى على مكانه ! ... أسرعى ! ... لأحطمه وأبيده من الوجود ... أين هو ؟! ...

السياسة : هنا ... داخل خزانة الملابس ! ...

الحرب : فى خزانة ثيابك ! ...

السياسة : نعم ! ... احتلت عليه حتى أدخلته فيها ، وحبسته داخلها كالفأر فى المصيدة ، إلى أن تأتى ..

الحرب : (**صائحا**) سحقا لهذا الفأر السام ! ... سأطحن عظمه بلحمه ! .. (**يهجم على الخزانة ويهز بابها**) إنها مغلقة بالمفتاح ، أين المفتاح ؟! ...

السياسة : المفتاح معى ! ..

الحرب : (**صائحا ماداً يده**) هاتى ! ...

السياسة : (**تخرج المفتاح من صدرها وتعطيه إياه**) خذ ! ...

الحرب : (**يأخذ المفتاح من يدها وينطلق هاجما على الخزانة**)

السياسة : (**تصيح**) « يدس » !! ..

الحرب : (**يقف فى الحال مصدوما**) يا لى من أحمق ! ...

السياسة : (**فى لهجة الظفر**) أرأيت ؟! ... ألم أقل لك إنك لن تظفر بالرهان ! ...

الحرب : ألفّقت واخترعت كل هذه الحكاية الطويلة العريضة ؛ لتحتالى علىّ وتتوصلى إلى تسليمى هذا المفتاح ؟! ...

إليك مفتاحك اللعين ... أيتها الماكرة ! .. (**يلقى بالمفتاح على الأرض**)

السياسة : ليس هذا كل ما عليك أن تفعل ! ...

الحرب : ماذا تريدين أن أفعل ؟! ...

السياسة : تنفذ الشروط ؟! ...

الحرب : ماذا تطلبين ؟ ...

السياسة : أطلب ... أطلب ... الـ ...

الحرب : تكلمى ! ...

السياسة : (**تفكر**) أطلب ! ... عقداً من اللؤلؤ الحر طويلا مزدوجا من صفين ... أزين به صدرى !! ...

الحرب : غدا عندما تفتح الحوانيت ، أحضرلك ذلك ! ...

السياسة : الآن لا بد أن نشرب معا نخب انتصارى ... انزل بسرعة يا عزيزى ، وأحضر من عند البقال المجاور زجاجة « شمبانيا » فاخرة ! ...

الحرب : أمرك ! ...

(يخرج مسرعا طائعا ، ولا يكاد يخرج ويختفى حتى تسرع هى فتلقط المفتاح من على الأرض ... وتبادر إلى فتح خزانة الملابس .....)

السياسة : (**للسلام وهو داخل الخزانة**) الآن ... اخرج أيها

العزيز ! .. بسلام ! ...

السلام : (**يخرج شاحب الوجه**) ...

السياسة : ما هذا الشحوب يا عزيزى ؟! ...

السلام : (**بصوت ضعيف**) أوَتريدين أن يكون فى جسمى قطرة دم ؟! ... (**يتجه إلى الباب**)

السياسة : أتذهب ؟! ...

السلام : بجلدى ! ... قبل أن يحدث مكروه ! ...

السياسة : (**وهى تشيعه إلى الباب**) إلى اللقاء ... أيها العزيز ... سأشرب الآن فى صحتك ! ...

السلام : (**كالمخاطب نفسه**) يا لك من امرأة ! ...

(**يخرج سريعا دون أن ينظر إليها ...**)

نهر الجنون

فصل واحد

١٩٣٥

(بهو فى قصر ملك من ملوك العصور الغابرة)

(الملك ووزيره منفردان ...)

الملك : ما تقص على مروع ! ...

الوزير : قضاء وقع يا مولاى ! ...

الملك : (**فى دهش وذهول**) الملكة أيضاً ؟ ...

الوزير : (**مطرقا**) واحزناه ! ...

الملك : هى أيضاً شربت من ماء النهر !؟ ..

الوزير : كما شرب أهل المملكة أجمعين ! ..

الملك : أين رأيت الملكة ؟ ...

الوزير : فى حديقة القصر ! ...

الملك : ما كان ينقص الخطب إلا هذا ! ...

الوزير : لقد حذرها مولاى أن تقرب ماء النهر ، وأوصاها أن تشرب من نبيذ الكروم ... لكنه القدر ! ...

الملك : قل لى كيف علمت أنها شربت من ماء النهر !؟ ...

الوزير : سيماؤها .. حركاتها ! ...

الملك : أحادثتك ؟ ...

الوزير : لم أكد أقبل عليها حتى ازورت عنى فى شبه روع ؛ كذلك فعلت وصائفها وجواريها ، وطفقن يتهامسن وينظرن إلى

نظرات المزورين ! ...

الملك : (**كالمخاطب نفسه**) كل هذا بدا لعينى فى تلك الرؤيا ! ...
رحمة بنا أيتها السماء ! ...

الوزير : نعم ... كل هذا رأته عيناى من قبل ...

(**صمت** ...)

الوزير : متى يذهب غضب السماء عن هذا النهر ؟ ...

الملك : من يدرى ؟ ..

الوزير : ألم ير مولاى فى تلك الرؤيا الهائلة ما ينبئ بالخلاص ؟! ...

الملك : (**يحاول أن يتذكر**) لست أذكر ! ...

الوزير : تذكر يا مولاى ! ...

الملك : (**يحاول التذكر**) لست أذكر أكثر مما قصصت عليك ...
رأيت النهر أول الأمر فى لون الفجر ، ثم أبصرت أفاعى
سوداء قد هبطت فجأة من السماء ، وفى أنيابها سم تسكبه
فى النهر ، فإذا هو فى لون الليل ! .. وهتف بى من يقول :
« حذار أن تشرب بعد الآن من نهر الجنون ! ... »

الوزير : ويلاه ! ...

الملك : وقد رأيت الناس كلهم يشربون ! ...

الوزير : إلا اثنين ! ...

الملك : أنا وأنت ! ...

الوزير : وافرحتاه !! ...

الملك : علام الفرح أيها الرجل ؟! ...

الوزير : (يستدرك) عفواً مولاى ! ... إن حزنى لعظيم ! ... ليتنى ... ليتنى كنت فداء الملكة ! ...

الملك : شدّ ما أبغض هذا الكلام !! ... ليتك تستطيع على الأقل أن تجد لها دواء !! .. يحزننى أن يذهب مثل عقلها الراجح ، ويخبو هذا الذهن اللامع فى سماء هذه المملكة ! ...

الوزير : حقاً ... إنها كانت كالشمس فى سماء هذه المملكة !! ...

الملك : نعم ! ... أنت دائماً تردد ما أقول ولا تفعل شيئاً ... على برأس الأطباء ! ...

الوزير : رأس الأطباء ؟! ..

الملك : نعم رأس الأطباء ... لعله يستطيع لها شفاء ! ...

الوزير : مولاى نسى أن رأس الأطباء كذلك قد ذهب ! ...

الملك : ذهب ؟! ... أين ؟ ...

الوزير : هو أيضاً من الشاربين !! ...

الملك : يا للمصيبة ! ...

الوزير : لقد رأيته كذلك بين يدى الملكة ، وقد تغيرت نظراته وحركاته ، وكلما لمحنى هزّ رأسه هزّا لا أدرك له معنى !! ..

الملك : رأس الأطباء قد جن ! ...

الوزير : نعم !! ...

الملك : لقد كان نابغة زمانه ... أية خسارة أن يصاب مثل هذا الرجل بالجنون !؟ ...

الوزير : وفى وقت نحن أحوج ما نكون إلى علمه وطبه ! ..

الملك : ليس فى هذه المملكة الآن غير واحد يستطيع إنقاذنا مما نحن فيه ! ...

الوزير : من يا مولاى ؟! ...

الملك : كبير الكهان ! ...

الوزير : واحسرتاه ! ...

الملك : ماذا ؟ ...

الوزير : منهم يا مولاى ! ...

الملك : ما تقول ؟ ... من الشاربين ؟ ...

الوزير : أجل ، منهم !! ...

الملك : هذا ولا ريب ما يسمى بالخطب الجلل ! .. حتى كبير الكهان أصيب بالجنون ، وهو أحسن الناس رأيا ، وأبعدهم نظراً ، وأثبتهم إيمانا ، وأطهرهم قلبا ، وأدناهم إلى السماء ؟! ...

الوزير : هو القضاء يا مولاى ... ألم أقل إنه قضاء وقع ؟! ..

الملك : أجل ... إنها لكارثة شاملة ! ... ليس لها من نظير ، لا فى التواريخ ولا فى الأساطير ... مملكة بأسرها قد أصابها الجنون دفعة واحدة ، ولم يبق بها ناعم بعقله غير الملك

والوزير ؟!! ...

الوزير : (**يرفع رأسه إلى أعلى**) رحمة السماء ! ...

الملك : أصغ أيها الوزير ! ... إن السماء التى حبتنا بالاستثناء ، وحفظت علينا نعمة العقل ، لا ريب ترانا خليقين أن تستجيب منا الدعاء ! ... هلم بنا إلى معبد القصر ، نصلى وندعو أن ترد إلى الملكة والناس عقولهم ! ... هذا آخر ملجأ نستطيع أن نلتجئ إليه ...

الوزير : أجل يا مولاى ... آخر ملجأ لنا وخير ملجأ : السماء ! ....

(**يخرجان من أحد الأبواب ...**)

(**يدخل من باب آخر : الملكة ، ورأس الأطباء ، وكبير الكهان ...**)

الملكة : إنه لخطب فادح ! ...

رأس الأطباء وكبير الكهان : (**معا**) أجل ! ... إنها لطامة كبرى ! ...

الملكة : (**لرأس الأطباء**) أما من حيلة للطب فى رد نور العقل إلى هذين البائسين ؟! ...

رأس الأطباء : يشق على هذا العجز منى أيتها الملكة ! ...

الملكة : تفكر يا رأس الأطباء ! ...

رأس الأطباء : لقد تفكرت مليا يا مولاتى ... إن ما أصابهما لا يسعه علمى ! ...

الملكة : أأقنط إذن من شفاء زوجى ؟! ...

رأس الأطباء : لا تقنطى يا مولاتى ... هنالك معجزات تهبط أحياناً من السماء ! ... هى فوق الأطباء ! ...

الملكة : ومتى تهبط تلك المعجزات ؟ ...

رأس الأطباء : من يدرى يا مولاتى ! ...

الملكة : يا كبير الكهان ! ... استنزل لى واحدة منها الآن ! ... الآن ! ... الآن ! ...

كبير الكهان : أستنزل واحدة من ماذا ؟! ...

الملكة : واحدة من تلك المعجزات التى فى السماء ! ...

كبير الكهان : من قال يا مولاتى إنى أستطيع أن أستنزل شيئا من السماء ؟! ..

الملكة : أليس هذا من عملك ؟ ...

كبير الكهان : إن السماء يا مولاتى ليست كالنخيل ، يستطيع الإنسان أن يستنزل منها ما شاء من ثمار ! ...

الملكة : ألا تستطيع إذن أن تصنع شيئا ؟! ... إنى زوج تحب زوجها ! ... إنى امرأة تريد إنقاذ رجلها ... أنقذوا زوجى ! ... أنقذوا زوجى ! ...

رأس الأطباء : بعض الصبر يا مولاتى ! ...

كبير الكهان : دع الملكة تقول ! ... إنها لعلى حق ... هى تبكى زوجا كريما ! ... الناس كذلك لو عرفوا الحقيقة لبكوا ملكا كان حازم الرأى راجح العقل ! ...

الملكة : احذروا أن يعرف الناس الخبر ! ...

كبير الكهان : نحن أصمت من قبر يا مولاتى ! ... غير أنى أخشى عاقبة الأمر ... إنا مهما أخفينا الخبر لا بد أن يظهر يوما من الأيام ! ... وأى مصيبة أفدح من علم الناس بأن الملك والوزير ...

الملكة : صه ! ... إن هذا مروع ! ..

كبير الكهان : حقا ... إن هذا مروع وعظيم الخطر ! ...

الملكة : ما المخرج ؟! ... لا تقفا من الأمر موقف اليأس ... افعلا شيئا ... إنى أفقد عقلى أنا أيضا ، ولا ريب ، إن طال أمد هذا الحال ! ...

كبير الكهان : لو أن فى مقدورى فهم ما يدور برأسه !! ...

الملكة : إنه يذكر النهر فى فزع ، ويزعم أن ماءه مسموم !! ...

كبير الكهان : وماذا يشرب إذن ؟ ...

الملكة : نبيذ الكروم ! ... ولا شىء غير نبيذ الكروم ! ...

رأس الأطباء : نعم ... نبيذ الكروم ! ... يغلب على ظنى أن الإدمان قد أثر فى عقله ! ...

الملكة : إن كان الداء فيما تقول فما أيسر الدواء ! ... تمنع عنه الخمر ! ...

رأس الأطباء : وماذا يشرب ؟! ...

الملكة : ماء النهر ! ...

رأس الأطباء : أتحسبينه يرضى يا مولاتى ؟! ...

الملكة : أنا أحمله على ذلك ! ..

رأس الأطباء : (**يلتفت إلى صوت قريب**) ها هو ذا الملك قادم ! ..

الملكة : (**تشير إلى رأس الأطباء وكبير الكهان**) اتركانا وحدنا ! ... (**يخرجان ، ويتركان الملكة ، تتأهب لملاقاة الملك**)

الملك : (**يراها فيقف بغتة فى مكانه**) أنت هنا ؟ ...

الملكة : (**تنظر إليه مليا**) نعم !! ...

الملك : لماذا تنظرين إلىّ هذه النظرات ؟! ...

الملكة : (**تنظر إليه وتهمس متوسلة**) أيتها المعجزات !! ...

الملك : (**يتأملها فى حزن**) ويلى !! ... إن قلبى يتمزق ! ... لو تعلمين مقدار ألمى أيتها العزيزة ؟! ...

الملكة : (**تحدق فى وجهه**) لماذا ؟؟ ...

الملك : لماذا ؟ ... نعم أنت لا تعرفين ! ... هذا الرأس

الجميل ، لا يمكن الآن أن يعرف ! ...

الملكة : ما الذى يؤلمك أنت ؟ ...

الملك : (**ينظر إليها مليا**) يؤلمنى ... هل أستطيع أن أقول ؟ ... هذا فوق ما أحتمل ! ...

الملكة : (**كالدهشة**) إنك تشعر بالنازلة ...

الملك : أتسألينني ؟! ... وأى شعور ؟! ...

الملكة : (**فى استغراب**) هذا غريب ! ...

الملك : واحزناه ! ...

الملكة : (**تتأمله لحظة فى إشفاق ، ثم تجذبه**) تعال أيها العزيز اجلس إلى جانبى على هذا الفراش ، ولا تحزن كل هذا الحزن ! ... لقد آن لهذا الشر أن يزول عنا ! ...

الملك : ماذا تقولين ؟! ...

الملكة : نعم ... ثق أنه سيزول ! ...

الملك : (**يتأملها دهشا**) إنك تحسين ما حدث ؟! ...

الملكة : كيف لا أحس أيها العزيز ، وهو ما يملأ نفسى أسى ؟ ...

الملك : (**ينظر إليها مليا**) هذا عجيب ! ...

الملكة : لماذا تنظر إلىّ هذه النظرات ؟! ...

الملك : (**متوسما فى إشفاق**) أيتها السماء ! ...

الملكة : تدعو السماء ؟ ... وقد استجابت السماء ! ...

الملك : ماذا أسمع ؟ ...

الملكة : (**فى فرح**) لقد وجدنا الدواء ؟ ...

الملك : وجدتم الدواء ؟ ... متى ؟! ...

الملكة : (**فى فرح**) اليوم !! ...

الملك : (**فى حرارة**) وافرحتاه ! ...

الملكة : نعم ... وافرحتاه ! ... إنما ينبغى لك أن تصغى إلى ما أقول ، وأن تعمل بما أنصح لك به ! ... يجب عليك أن تقلع من فورك عن شرب النبيذ وأن تشرب من ماء النهر !! ...

الملك : (**ينظر إليها ، وقد عاد إلى يأسه وحزنه**) ماء النهر ؟!

الملكة : (**بقوة**) نعم !! ...

الملك : (**كالمخاطب نفسه**) ويحى ... أنا الذى حسب السماء قد استجابت ! ...

الملكة : (**فى قوة**) أصغ إلى واعمل بما أقول ! ...

الملك : (**ينظر إليها مليا فى يأس**) إنى لأرى الأمر يزداد فى كل يوم شرا ... وهل كان يخطر لى على بال أنها تتكلم مثل هذا الكلام ؟ ... وأن ما بها يبلغ هذا ؟ ... وبلاه !! ... لابد من إنقاذها ! ... لابد من إنقاذها كاد يذهب من رأسى العقل (**يخرج سريعاً**) أيها الوزير ! ... على بالوزير !! ...

الملكة : (**كالمخاطبة لنفسها فى حزن وإطراق**) صدق رأس الأطباء ، إن الأمر لأعسر مما !... (**تتنهد وتخرج**)

الوزير : (**يدخل من باب آخر متغير الوجه**) مولاى ! . مولاى !.

الملك : (**يعود أدراجه**) أيها الوزير ! ...

الوزير : جئتك بخبر هائل ! ...

الملك : (**فى رجفة**) ماذا أيضاً ؟ ...

الوزير : أتدرى ما يقول الناس عنا ؟ ..

الملك : أى ناس ؟ ...

الوزير : المجانين ! ...

الملك : ماذا يقولون ؟ ...

الوزير : يزعمون أنهم هم العقلاء ، وأن الملك والوزير هما المصابان !! ...

الملك : صَه ! ... من قال هذا الهراء ؟! ...

الوزير : تلك عقيدتهم الآن ! ...

الملك : (**فى تهكم حزين**) نحن المصابون وهم العقلاء ؟! .. أيتها السماء رحماك ! .. إنهم لا يشعرون أنهم جنوا ! .

الوزير : صدقت ...

الملك : يخيل إلى أن المجنون لا يشعر أنه مجنون ! ...

الوزير : هذا ما أرى ...

الملك : إن الملكة ، واحسرتاه ، كانت تحادثنى الآن وكأنها تعقل ما تقول ، بل لقد كانت تبدى لى الحزن وتسدى إلى النصح ! ...

الوزير : نعم ! ... نعم ! ... كذلك صنع بى كل من قابلت من رجال القصر وأهل المدينة ...

الملك : أيتها السماء رفقا بهم ! ...

الوزير : (**فى تردد**) وبنا ! ...

الملك : (**متسائلا فى دهش**) وبنا ؟! ..

الوزير : مولاى ! إنى ... أريد أن أقول شيئاً ! ...

الملك : (**فى خوف**) تقول ماذا ؟ ...

الوزير : إنى كدت أرى ...

الملك : (**فى خوف**) ترى ماذا ؟ ...

الوزير : إنهم ... كل شىء ...

الملك : من هم ... ؟! ...

الوزير : الناس .. المجانين ... إنهم يرموننا بالجنون ، ويتهامسون علينا ، ويتآمرون بنا ... ومهما يكن من أمرهم ، وأمر عقلهم ، فإن الغلبة لهم ، بل إنهم هم وحدهم الذين يملكون الفصل بين العقل والجنون ؛ لأنهم هم البحر وما نحن معا إلا حبتان من رمل ... أتسمع منى نصحا يا مولاى ؟! ...

الملك : أعرف ماذا تريد أن تقول ! ...

الوزير : نعم ... هلم نصنع مثلهم ، ونشرب من ماء النهر ! ...

الملك : (**ينظر إلى وجه الوزير مليا**) أيها المسكين ! ... إنك قد شربت ... أرى شعاعا من الجنون يلمع فى عينيك ! ...

الوزير : كلا ... لم أفعل بعد ! ...

الملك : أصدقنى القول !! ...

الوزير : (**فى قوة**) أصدقك القول ... إنى سأشرب ! ... وقد أزمعت أن أصير مجنونا مثل بقية الناس ... إنى أضيق ذرعا بهذا العقل بينهم ! ...

الملك : تطفىء من رأسك نور العقل بيديك ؟! ...

الوزير : نور العقل ؟ ... ما قيمة نور العقل فى وسط مملكة من المجانين ؟! ... ثق أنا لو أصررنا على ما نحن فيه ؛ لانأمن أن يثب علينا هؤلاء القوم ! ... إنى لأرى فى عيونهم فتنة تضطرم ، وأرى أنهم لن يلبثوا حتى يصيحوا فى الطرقات : « الملك ووزيره قد جنا ، فلنخلع المجنونين ! .... »

الملك : ولكنا لسنا بمجنونين ! ...

الوزير : كيف نعلم ؟! ...

الملك : ويحك ! ... أتقول جداً ؟! ...

الوزير : إنك قد قلتها الساعة يا مولاى : إن المجنون لا يشعر أنه مجنون !! ...

الملك : (**صائحاً**) ولكنى عاقل ، وهؤلاء الناس مجانين ! ...

الوزير : هم أيضا يزعمون هذا الزعم !! ...

الملك : وأنت ؟ ... ألا تعتقد فى صحة عقلى ؟ ...

الوزير : عقيدتى فيك وحدها ما نفعها ؟ ... إن شهادة مجنون لمجنون لا تغنى شيئا ! ...

الملك : ولكنك تعرف أنى لم أشرب قط من ماء النهر ! ...

الوزير : أعرف ! ...

الملك : وأن الناس كلهم قد شربوا منه ! ...

الوزير : أعرف ! ..

الملك : وأنى قد سلمت من الجنون ؛ لأنى لم أشرب ، وأصيب الناس ؛ لأنهم شربوا ! ...

الوزير : هم يقولون بأنهم إنما سلموا هم من الجنون لأنهم شربوا ، وأن الملك إنما جن لأنه لم يشرب ! ...

الملك : عجبا ! .. إنها لصفاقة وجه !! ...

الوزير : هذا قولهم وهم المصدقون ، وأما أنت فلن تجد واحداً يصدقك ! ...

الملك : أهكذا يستطيعون أيضاً أن يجترئوا على الحق ؟! ...

الوزير : الحق ؟! ... (**يخفى ضحكه**)

الملك : أتضحك ؟! ...

الوزير : إن هذه الكلمة منا فى هذا الموقف غريبة ! ...

الملك : (**فى رجفة**) لماذا ؟ ...

الوزير : الحق والعقل والفضيلة ، كلها أصبحت ملكا لهؤلاء الناس أيضا ... هم وحدهم أصحابها الآن ...

الملك : وأنا ؟ ...

الوزير : أنت بمفردك لا تملك منها شيئا ! ...

(**الملك يطرق فى تفكير وصمت ...**)

الملك : (**يرفع رأسه أخيرا**) صدقت ... إنى أرى حياتى لا يمكن أن تدوم على هذا النحو !...

الوزير : أجل يا مولاى ... وإنه لمن الخير لك أن تعيش مع الملكة والناس فى تفاهم وصفاء ، ولو منحت عقلك من أجل هذا ثمنا ! ...

الملك : (**فى تفكير**) نعم ! ... إن فى هذا كل الخير لى ... إن الجنون يعطينى رغد العيش مع الملكة والناس كما تقول ، وأما العقل فماذا يعطينى !؟ ...

الوزير : لا شىء ... إنه يجعلك منبوذا من الجميع ... مجنونا فى نظر الجميع ؟! ...

الملك : إذن فمن الجنون ألاّ أختار الجنون ؟ ...

الوزير : هذا عين ما أقول ! ...

الملك : بل إنه لمن العقل أن أوثر الجنون ! ...

الوزير : هذا لا ريب عندى فيه ! ..

الملك : ما الفرق إذن بين العقل والجنون ؟! ...

الوزير : (**وقد بوغت**) انتظر ! ... (**يفكر لحظة**) لست أتبين فرقا ! ...

الملك : (**فى عجلة**) علىّ بكأس من ماء النهر ! ...

الشيطانُ فى خطَر

فصل واحد

١٩٥١

(حجرة مكتب بسيطة الرياش ... الفيلسوف جالس بين أكداس الكتب والمجلدات ، يقرأ ويفكر فى هدوء الليل ... وفجأة يدق جرس « التليفون » على مقربة منه ؟ ...)

الفيلسوف : (**يتناول السماعة**) ألو ! ... ألو ! ... تطلب مقابلتى ؟ ... الآن ؟ ... الأمر هام ؟ ... من حضرتك ؟ ... ماذا تقول ؟ ... الشيطان ؟ ... أهذا وقت مزاح يا حضرة الفاضل ؟! ... فى منتصف الليل تطلبون الناس لتمازحوهم ؟ ... اقفل السكة من فضلك ! .. (**يضع السماعة**) صفاقة وقلة ذوق ! ...

(يسمع نقر على باب الحجرة ، ثم يفتح الباب ، ويظهر « الشيطان » بثيابه الحمراء ....)

الشيطان : (**برقة وأدب**) لا تؤاخذنى ! ... إنها حقا صفاقة وقلة ذوق ! ... فالوقت غير مناسب للزيارة ... ولكن الأمر هام ! ...

الفيلسوف : (**مذهولا مأخوذاً**) حضرتك ؟! ...

الشيطان : (**ينحنى بظرف وتواضع**) نعم ! ... أنا هو ! ...

الفيلسوف : (فى همس) الشيطان ؟! ...

الشيطان : أخشى أن يكون منظرى قد خيب ظنك ! ...

الفيلسوف : بالعكس ! ... منظرك لا يختلف مطلقا عما اعتدنا أن نراه فى الصور ! ... ثيابك الحمراء ! ... وقرناك الصغيران ، وعيناك اللامعتان ! ... وأنفك الطويل ! ... وقوامك النحيل ! ...

الشيطان : لست أدرى كيف صنعت لى هذه الصورة ! ... ولكن ما دمت قد عرفت بها فلا بد أن أرتديها ... كذبة مشهورة أجدى من حقيقة مستورة ! ...

الفيلسوف : (دهشا) الشيطان !.. حضرتك إذن الشيطان !... الشيطان الذى نقرأ عنه فى الكتب ... ونسمع عن أعماله العجب ؟!..

الشيطان : (متواضعا) هو أنا ولا فخر ! ... ذلك الذى تذكرونه كل يوم بالخير ! ... فيما تكتبون وتقولون ! ... إنى بالطبع لا أتابع كل ما ينشر عنى ولا ما ينسب إلى ... ولو أنى فعلت لقضيت أغلب وقتى فى تصحيح كثير من الوقائع . وتكذيب كثير من الاتهامات ! ... إنى قليل الاطلاع على ما فى الكتب والأحاديث ! ... وقد يدهشك أن تعلم أنى شديد الميل إلى العزلة ! ... بعيد كل البعد عن الاختلاط

بالناس ... وهذا سر احتفاظي بمظاهر الشباب ، وبراحة الأعصاب ! ...

الفيلسوف : (**يقدم إليه علبة التبغ**) سيجارة ؟ ...

الشيطان : لا بأس ! ... إذا كانت من النوع الهادئ ! ...

الفيلسوف : اطمئن ! ... إنى لا أدخن إلا أهدأ الأنواع ! ...

الشيطان : (**يتناول سيجارة**) شكرا ! ...

الفيلسوف : (**وهو يشعل له السيجارة**) ذلك أنى لا أبغى من التدخين سوى مساعدتى على أن أفكر ! ...

الشيطان : تفكر فى ماذا ؟ ...

الفيلسوف : فى عملى ... إنك تعرف بالطبع أن مهنتى هى التفكير ! ...

الشيطان : بدون شك ! ... فيلسوف من أهم الفلاسفة ... هكذا قيل لى .. ولهذا جئت إليك الليلة كى تفكر لى ! ...

الفيلسوف : أفكر لك ؟! ... أنت ؟! ...

الشيطان : نعم ! ... يجب أن تفكر لى أنا ! ... فى حل يخرجنى من هذه المصيبة التى توشك أن تقع على رأسى ! ...

الفيلسوف : (**دهشا**) مصيبة ؟! ... ستقع على رأسك أنت ؟! ...

الشيطان : نعم ! ... أنقذنى ... لن ينقذ رأسى غير رأسك هذا

المملوء بالأفكار ! ... أرشدنى إلى فكرة ... إلى حل
يبعد عنى الخطر ! ...

الفيلسوف : أنت فى خطر ؟! ..

الشيطان : داهم ... ينذر بالنهاية ! ... ترتعد منه فرائصى ! ...

الفيلسوف : يا للهول ! ...

الشيطان : أسرع وفكر لى ... كيف الخلاص منه ؟ ...

الفيلسوف : الخلاص من ماذا ؟! ...

الشيطان : من الخطر الذى يهددنى ... فكر لى ... فكر لى أيها
الفيلسوف ! ... ألست فيلسوفا ؟ ... أليست
مهمتك التفكير ؟ ... فكر لى إذن فى الحال ... فكر
لى سريعا ... فكر .. فكر ...

الفيلسوف : (**يفكر فى الحالة**) هأنذا أفكر ! ... هأنذا
أفكر ! ...

الشيطان : (**وهو يتأمل الفيلسوف ، وقد أطرق حاصرا فكره**)
نعم ! ... ها أنت ذا تحصر فكرك جيدا ! ... أرجو
أن يتمخض ذهنك الجبار عن فكرة فعالة ! ...

الفيلسوف : (**يرفع رأسه فجأة ويصيح**) يا للعجب ! ...

الشيطان : (**فرحا**) وجدتها ؟ ... وجدتها ؟ ...

الفيلسوف : نعم ... وجدت أنك لم تكشف لى ما هو الخطر الذى
يهددك ، وتريد له حلا ! ...

الشيطان : إنك لم تسألنى عنه ! ...

الفيلسوف : وهنا وجه العجب ! ... كان يجب أن أسألك قبل أن أفكر ! ...

الشيطان : إنك فكرت قبل أن تسأل ! ...

الفيلسوف : لا تؤاخذنى ! ... غلبت على العادة ... نحن معشر الفلاسفة نفكر أحياناً طويلا ، ثم ينتهى تفكيرنا فى أغلب الأحيان إلى سؤال ! ...

الشيطان : لا يا سيدى ! ... أرجوك ! ... لا تضيع لى وقتى ! ... إنى جئت إليك فى هذه الساعة من الليل ، كى تفكر لى تفكيرا ينتهى إلى حل ! ...

الفيلسوف : نبدأ إذن بالسؤال : ما هو الخطر الذى يهددك ؟ ...

الشيطان : الحرب ! ....

الفيلسوف : (فى **دهشة**) الحرب تهددك أنت ؟! ..

الشيطان : طبعا تهددنى أنا .. أى وجه للدهشة فى هذا ؟! .. إن الحرب القادمة فظيعة ! .. وأظنك لا تجهل ذلك .. قنابل ذرية وصاروخية ستحطم الدنيا وتفتك بالناس !..

الفيلسوف : وهل أنت إلى هذا الحد شديد الرحمة بالناس ؟! ..

الشيطان : شديد الرحمة بنفسى ! ...

الفيلسوف : وما دخلك ؟! ...

الشيطان : حياتى مرتبطة بالناس ... حيث يكون الناس أكون أنا ... فإذا قامت القيامة ، وجاءت النهاية ، فأنا مع الجميع فى المقدمة إلى حيث ألقى مصيرى المكتوب ونهايتى المحتومة ! ...

الفيلسوف : (**بدهشة**) إذن الحرب القادمة المبيدة هى شىء ليس فى مصلحتك ! ..

الشيطان : أبدا ! ...

الفيلسوف : ومن الذى يثيرها إذن بين الأمم ؟! ...

الشيطان : وهل أدرى ؟ ...

الفيلسوف : عجيبة ! ... الدنيا كلها تظن الشيطان هو الذى يوسوس لزعماء الدول الكبرى ، كى تشعل نيران الحرب القادمة ! ... وها هو ذا الشيطان بنفسه يتنصل وينكر ! ..

الشيطان : أجننت أنا يا سيدى الفاضل ، حتى أحرق العالم كله وأحرق نفسى معه ؟! ...

الفيلسوف : معقول ! ...

الشيطان : أأنا مغفل ؟! ... أأنا أريد الانتحار ؟! ... إنى كما قلت لك الآن قد صرت أميل إلى الهدوء والعزلة ... ولكن بعض الناس ، فيما يظهر ، يريدون الصخب والجلبة ! ... وتطربهم أصوات المفرقعات ! ... وهذا

شأنهم إلى حد ما ... وكان فى استطاعتى من قبل أن
أضع أصابعى فى أذنى ! ... ولكن المسألة فيما أرى
تتطور وتتدحرج ... ولم تعد المفرقعات بالنسبة إلى أنا
مجرد أصوات ! ...

الفيلسوف : أنت إذن تريد ؟ ...

الشيطان : منع الحرب ! ...

الفيلسوف : شيء غريب ! ... وهل من المتعذر عليك أن تهمس فى
آذان زعماء الدول الكبرى ! ...

الشيطان : فعلت وهمست بكلمات السلام ... وقامت فى كل
معسكر جماعات تطبع المنشورات ، وتقوم
بالدعايات ، منادية بالسلام ... ولكن ماذا كان من
أمر هذا كله ؟ ... إن كلمة « السلام » نفسها قد
انقلبت مرادفة « للحرب » ... ولم أجد فى القواميس
كلمة أخرى أهمس بها فى الآذان لمنع الحرب ...

الفيلسوف : والعمل ؟! ...

الشيطان : هذا ما جئت ألتمسه عندك ...

الفيلسوف : عندى أنا ؟! ...

الشيطان : نعم ! ... خطر ببالى أخيرا أن أذهب إلى فيلسوف ...
أبحث عنده عن فكرة يمكن أن تبعد خطر الحرب ...
وقد جئت إليك ! ...

الفيلسوف : (**متأملا**) فكرة لمنع الحرب ؟! ... نعم ! ... هذا ليس بمستحيل على أمثالنا نحن الفلاسفـة ! ... إن صناعتنا هي توليد الأفكار ! ... ما من شك فى أنى أستطيع أن أعطيك ماتطلب ! ...

الشيطان : (**هاتفا**) مرحى ! ... مرحى ! ... إن البشرية قد أنقذت ! ...

الفيلسوف : مهلا يا عزيزى الشيطان مهلا ... يجب أن نتفق أولا على الثمن ! ...

الشيطان : الثمن ؟! ... أى ثمن ؟! ...

الفيلسوف : ألم تأت إلى فى هذا الوقت المتأخر من الليل وتصرفنى عن أعمالى كى أفكر لك ، وأعصر ذهنى لحسابك ؟! ...

الشيطان : بل لحساب الإنسانية ! ...

الفيلسوف : إنى دائما أعمل لحساب الإنسانية ! ... ولم يمنع هذا من أن أتقاضى أجرا على نشر مؤلفاتى وأفكارى ! ...

الشيطان : إنك تفكر الآن لتنقذ الإنسانية من الدمار ! ...

الفيلسوف : وأولئك العلماء الذين يصنعون الآن القنابل الذرية والإيدروجينية ، التى سوف تدمرهم فيمن تدمر ، هل يفعلون ذلك لوجه الله ؟! ...

الشيطان : إنهم بالطبع يتناولون أجورا ! ...

الفيلسوف : لماذا إذن تريدنى أن أفكر بالمجان لوجه الشيطان ؟! ...

الشيطان : حسبتك تهتم فقط بالمثل العليا ! ...

الفيلسوف : مثلك ؟! ...

الشيطان : أتسخر منى ؟! ...

الفيلسوف : بالعكس ! ... إنى أفهم ظروفك ! ... أنت لك الحق فى أن تهتم فقط بمثلك العليا ، لأنك وحيد ... ليست لك زوجة ! ...

الشيطان : وهل أنت متزوج ؟ ...

الفيلسوف : طبعا ... ولذلك أنا فيلسوف ... كل زوج قضى فى الزوجية عشرة أعوام فما فوق هو فيلسوف ، دون حاجة إلى أن يتعلم حرفا فى الفلسفة ! ...

الشيطان : شيء عجيب ! ... إنك تتكلم عن أمر لم أجربه قط : الزواج ! ...

الفيلسوف : أما خطر فى بالك يوما أن تتزوج ؟! ...

الشيطان : أبـــدا ... ولست أدرى لماذا ؟ ... ربما كانت غلطة ! ...

الفيلسوف : (**يحملق فيه بعينيه**) غلطة أنك لم تتزوج ؟! ...

الشيطان : فى الوقت المناسب ... لقد تركت بحماقة كل هـذا العمـر الطويـل يمضى ... منـذ خلـق النـاس حتـى اليـوم ! ... دون أن أفكـر فى تغـيير طريقـة

حياتى ! ... وها هى ذى النهاية تقترب ... وقد يسجح هؤلاء العابثون فى تدمير الدنيا ! ...

الفيلسوف : وأنت لم تدخل بعد — دنيا ! ..

الشيطان : (**لم يفهم**) ماذا تقول ؟! ...

الفيلسوف : أقصد لم تدخل — بعد — دنيا الزوجية ! ...

الشيطان : فات الوقت ! ...

الفيلسوف : (**ينظر إليه ملياً**) لا يبدو عليك أنك قد شخت ! ...

الشيطان : إنك تغرينى ! ...

الفيلسوف : أنا الذى أغريك ؟!! ...

الشيطان : إنى على كل حال سئمت الوحدة والعزوبة ... ويخيل إلّى أن دنيا الزواج المغلقة على ...

(يفتح فجأة باب مغلق فى الحجرة ... وتندفع منه امرأة فى ثياب المنزل ... هى زوجة الفيلسوف)

الزوجة : (**صائحة**) أما كفى قراءة وكتابة ؟ ... هذا النور الكهربائى الذى تبقيه طول الليل ، أهو بنقود أم بغير نقود ؟! .. ومن الذى يدفع حسابه كل شهر ؟ ... أهو أنت من جيبك أم أنا من المصروف ؟! ..

الشيطان : (**هامسا**) من حضرتها ؟! ...

الفيلسوف : زوجتى ! ...

الشيطان : خذ راحتك فى الحديث معها ؛ إنها لم تبصرنى ، ولن تسمعنى ! ...

الزوجة : (لزوجها) كلمنى ! ... ما لك تحرك شفتيك ، وتنظر إلى الفضاء ! ...

الفيلسوف : (يلتفت إليها) نظرت إليك أنت ! ... طلباتك ؟! ...

الزوجة : طلباتى ؟! ... أنت تعرفها جيداً وتتقن تجاهلها ! .. ولكننى أقسمت أن أحققها كاملة ... شئت أم كرهت ! ...

الفيلسوف : بالقوة ؟! ...

الزوجة : أنت لا تريد أن نسوى أمورنا بالوسائل الودية ! ...

الفيلسوف : أنا ؟! ... أنا الرجل المسالم !؟ ...

الزوجة : فى الظاهر ! ... ولكنك فى الباطن رجل عنيد مشاكس ! ... تريد أن يسير كل شىء فى البيت بأمرك وحدك ! ... وعلى هواك ! ... ووفق أفكارك ! ...

الفيلسوف : ألا يجب أن يكون لى فى البيت رأى ؟! ...

الزوجة : لا يا سيدى ! ... رأيك تضعه فى كتبك ... أما البيت فتضع فيه نقودك ! ...

الفيلسوف : تريدين إذن أن تكونى أنت المتصرفة فى شئون البيت ؟ ...

الزوجة : طبعا ...

الفيلسوف : وماذا تسمين هذا ؟ ...

الزوجة : الأصول ...

الفيلسوف : وما وضعى أنا فى البيت ؟ ...

الزوجة : على مكتبك هادئا كما أنت موضوع ! ...

الفيلسوف : غير ذى موضوع ! ...

الزوجة : لا أفهم كلامك الفلسفى ! ...

الفيلسوف : كل ما تفهمين هو أن تأخذى النقود منى ، وتسيطرى أنت على ؟! ...

الزوجة : أسيطر عليك ؟ ... ما هذه الكلمات التى تجيد اختراعها ؟! ... ولكنها صناعتك ! ... تستخدمها ضدى ، أنا المسكينة التى لاتحسن الدفاع عن نفسها بالكلمات ! ...

الفيلسوف : ولكنك تحسنين الهجوم بالأفعال ! ...

الزوجة : إنى لم أهجم بعد ! ...

الفيلسوف : بدأت المناوشات ! ... ألست أنت التى خطفت من يدى محفظة النقود هذا الصباح ؟ ... بعد أن خدشتنى بأظافرك الطويلة ، وذهبت إلى الحوانيت ، فاشتريت لنفسك الجوارب والعطور ، وعدت دون أن تشترى لزوجك قميصاً واحدا ، يعوضه عن قمصانه القديمة البالية ؟! ...

الزوجة : ولماذا أشترى لك ، وأنت تخفى عنى ما يصل إلى يدك من مال ؟! ...

الفيلسوف : يا للتهمة الزور التى تلصقينها بى دائما ! ... أنا أستطيع

أخفى عنك شيئا ... ولك أنف يشم رائحة القرش ؛
كما يشم الحاوى رائحة الثعبان ! ..

الزوجة : ليس هنا ثعبان غير لسانك الذى يقطر السم ! ...

الفيلسوف : سمى لا يؤثر فيك على كل حال ! ...

الزوجة : أرأيت ؟! ... كل ما تتمناه أنت هو أن يسمم حياتى ! ...

الفيلسوف : وأنت ؟! ... هل قررت الإضراب يوما واحداً عن تنغيص حياتى ؟! ...

الشيطان : (**هامسا للفيلسوف**) أهذا هو الزواج ؟! ...

الفيلسوف : نعم ... لطيف جدا ... أليس كذلك ؟! ...

الزوجة : عدت تحرك شفتيك ، وتحملق فى الفضاء ! ...

الفيلسوف : أتريدين أيضاً التحكم فى شفتى ، والتدخل فى عينى ؟! .. أليس لى الحق أن أكلم من أشاء وأنظر إلى من أشاء ؟! ...

الزوجة : ليس فى الحجرة غيرى ! ...

الفيلسوف : من أدراك ؟! ...

الزوجة : تقصد أن هنا الآن شخصا آخر غيرى ، تنظر إليه وتخاطبه ؟ ...

الفيلسوف : غيرك ؟! ... طبعا هنا غيرك ! ... أتظنين أنه ليس فى الكون غيرك ؟! ...

الزوجة : وما دخل الكون ؟! ... إنى أتكلم عن هذه

الحجرة ... أفيها أحد ثالث ؟! ...

الفيلسوف : بدون شك ! ...

الزوجة : من هو ؟! .. من فضلك ! ...

الفيلسوف : لا أقول .

الزوجة : أحد ثالث تراه أنت الآن هنا ؟! ...

الفيلسوف : طبعاً ! ...

الزوجة : ولماذا تبصره أنت ولا أبصره أنا ؟! ..

الفيلسوف : وهل ذنبي أن أبصر ما لا تستطيعين أنت أن تبصري ؟! ..

الزوجة : قلت لك ألف مرة خاطب بفلسفتك هذه الناس فى الخارج ، أما هنا فى البيت فخاطبنى بمنتهى العقل ! ...

الفيلسوف : وما هو العقل عندك أيتها المرأة ؟! ...

الزوجة : أرأيت ؟ ... كل همك أن تشعرنى دائما أنك من طينة غير طينتى ... وأن تفكيرك هو فى مستوى أرفع من تفكيرى . تريد أن تفهمنى أنى صغيرة إلى جانبك ! ... وأنك ترى ما لا أرى ... وتدرك ما لا أدرك ... تريد أن تسيطر على بفكرك ... ولكنك لن تسيطر علىَّ ! ... إنى أصلب عودا مما تظن ! ... إن لى شخصية لا يمكن أن تنطوى تحت شخصيتك ! ...

الفيلسوف : أهذه الفكرة هى التى تثيرك ؟! ..

الزوجة : لا يمكن بأى حال أن أكون تابعة لك ! ...

الفيلسوف : وماذا تريدين أن تكونى ؟! ...

الزوجة : سيدة هذا البيت ! ...

الفيلسوف : وأنا ... ألست هنا سيدا ؟ ..

الزوجة : كن ما شئت ! ... ولكن كلمتى فى البيت هى العليا ! ...

الفيلسوف : وكلمتى أنا هى السفلى !! ...

الزوجة : لا ينبغى أن يكون فى البيت كلمتان وحاكمان ! ... بل أمر واحد ... ومسيطر فرد ! ...

الفيلسوف : هو أنا بالطبع ! ...

الزوجة : بل هى أنا بالضرورة ! ...

الفيلسوف : أهذا معقول ؟! ...

الزوجة : المسألة ليست بالعقل !! ...

الفيلسوف : بالقوة ؟! ..

الزوجة : بكل أسف ، نعم ! ... وسترى الآن من منا الذى سيخضع الآخر ! ... لقد قلت منذ لحظة ؛ إنك تبصر مالا أستطيع أن أبصره ! ... خسئت وكذبت ! ... إنى أبصر الآن أكثر منك ... ذلك الشخص الذى معنا فى هذه الحجرة ! ...

الفيلسوف : تبصرينه ؟! ... من هو ؟ ...

الزوجة : هو الشيطان ! ...

الشيطان : (**هامسا**) يا للعجب؟.. كيف شمت رائحتى؟! ..

الفيلسوف : (**دهشاً**) أترينه الآن معنا ؟! ..

الزوجة : (**دون أن تلتفت أو تفطن لوجود الشيطان الفعلى**)
نعم ! ... ولتكن على حذر ! ... فهو الآن بينى
وبينك ... ألا تعلم ... وأنت الفيلسوف ... ذلك
المثل الذى يقول : « ما اجتمع رجل وامرأة إلا كان
ثالثهما الشيطان » ؟! ..

الشيطان : (**همسا للفيلسوف**) ليس دائماً .. إنى هنا الليلة
بينكما بمحض المصادفة ... كما تعلم !..

الفيلسوف : (**للشيطان**) ... نعم ! ... أعلم ! ...

الزوجة : (**قد ظنت الكلام موجها إليها**) تعلم ؟ .. نعم : هذا
المثل حقيقى ، والدليل على وجود الشيطان بيننا الآن ،
أنه يوسوس لى أن أختطف هذه المحبرة التى أمامك
هكذا !.. (**تسرع باختطاف محبرة المكتب**) .. وأن
أقذف بما فيها على رأسك ، وثيابك ، وكتبك ! ...

الشيطان : (**هامسا للفيلسوف**) يا للظلم ! ... أتصدق أنى
أقول لها أن تفعل ذلك ؟! ..

الفيلسوف : لا .. لا أصدق طبعا ! ...

الزوجة : (**رافعة فى يدها المحبرة**) لا تصدق ؟ ... بل
صدق ... إنى أفعلها إذا لم تبادر وتسلم لى بلا قيد ولا
شرط ! ...

الفيلسوف : (**صائحاً**) أجننت ؟! ... تلقين على هذه المحبرة بما فيها
من حبر ؟! ...

الزوجة : حبر أحمر كالدم ! ... سلم فى الحال وأعلن خضوعك التام ! ..

الفيلسوف : خضوعى التام ؟! ...

الزوجة : بدون قيد ولا شرط ... وإلا ألقيت عليك هذه ! ... (**تهز فى يدها**) المحبرة ...

الفيلسوف : (**صائحا**) هذه ؟! ... هذه قنبلة ... قنبلة ذرية ! ...

الزوجة : (**مهددة بالمحبرة**) فلتكن ما تكون ! ... اخضع وإلا ...

الفيلسوف : (**ملتفتا إلى الشيطان مستنجدا**) ما رأيك ؟ ...

الشيطان : (**هامسا له**) رأيى ؟ ... تسألنى رأيى ، وأنا الذى جئت ألتمس رأيك ؟! ... أرأسك هذا هو الذى سيفكر لى فى منع الحرب ؟ ...

الفيلسوف : الحرب فى حجرتى ! .. (**يشير إلى زوجته**) وهى التى أعلنتها ! ...

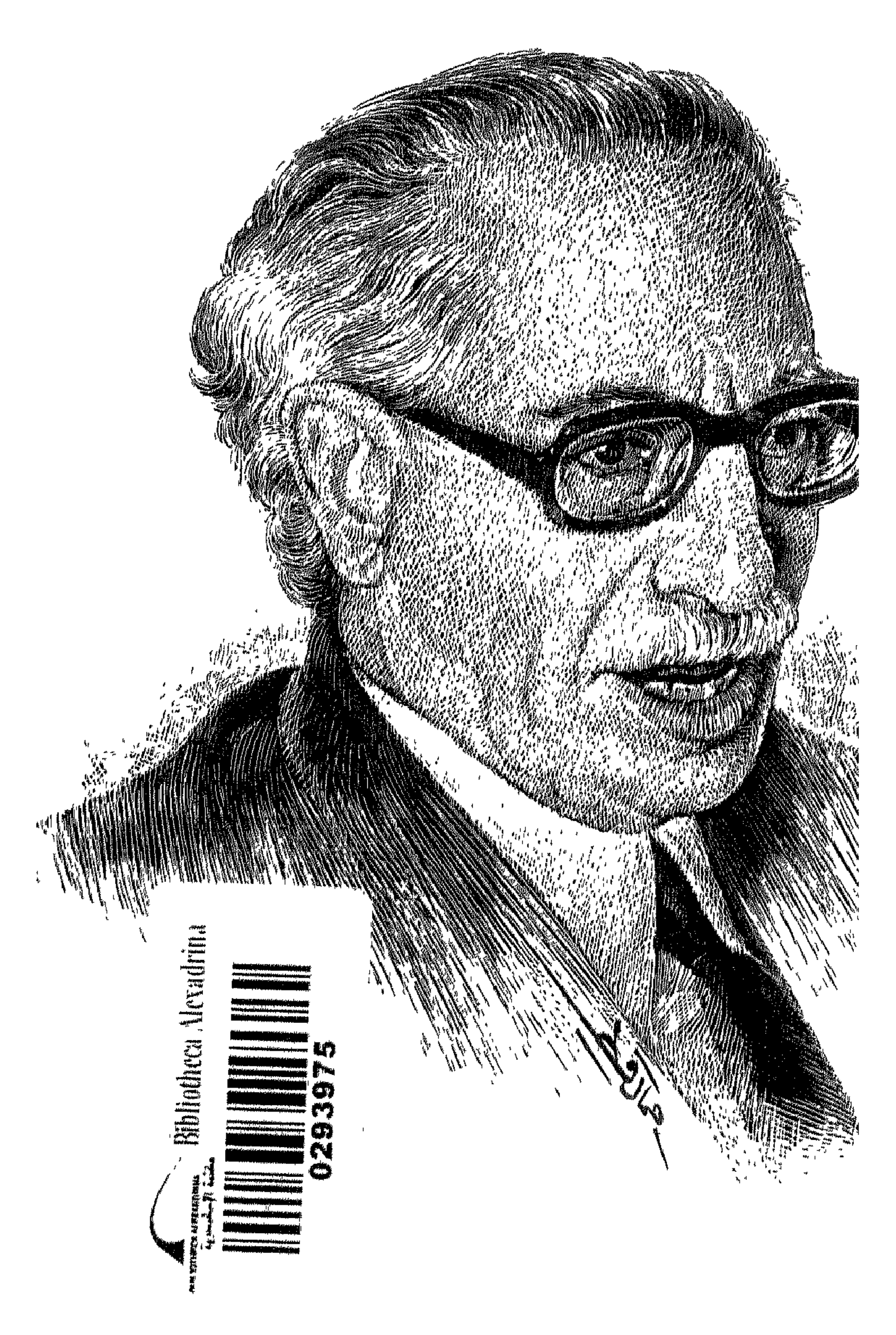
الشيطان : (**منصرفا**) يا خيبة أملى فى حضرتك ! ...

الفيلسوف : تنصرف ؟! ... وتتركنى مهددا ؟! ... أنقذنى ! ...

الشيطان : دعنى أنقذ نفسى أولا من هنا ... قبل أن تلقى فى الحجرة قنبلتكم الذرية ! ... (**يهرول هاربا من الباب مشيرا بيده إشارة الوداع ! ...**)

رقم الإيداع ٤٦٤٨ / ١٩٨٩

الترقيم الدولى ٣ — ٠٥٠٤ — ١١ — ٩٧٧



الثمن ٤٥٠ قرشا

ر للطباعة
لسحار وشركاه